تاريخ الإمبراطورية الرومانية

الفرقة الثانية- قسم التاريخ

إعداد

د/ محمد حمدان إبراهيم

قسم التاريخ – كلية الآداب

٢٠٢٢/ ٢٠٢٣م

الكلية: كلية الآداب- جامعة جنوب الوادي

الفرقة: الثانية

القسم: قسم التاريخ

العام الجامعي: ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة

إعداد: د. محمد حمدان إبراهيم

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: **مصادر دراسة تاريخ الإمبراطورية الرومانية**	٤-١٩
أولًا: المصادر الوثائقية	
ثانيًا: المصادر الأدبية	
الفصل الثاني: **أوكتافيوس وقيام الإمبراطورية الرومانية**	٢٠-٤١
أولًا: موقعة أكتيوم ٣١ق.م	
ثانيًا: تسوية ٢٧ق.م	
ثالثًا: سُلطات أوكتافيوس	
رابعًا: ألقاب أوكتافيوس	
خامسًا: إصلاحات أغسطس	
سادسًا: تنظيم وراثة العرش	
الفصل الثالث: **أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية**	٤٢-٦٦
أولًا: الإمبراطور تيبريوس	
ثانيًا: الإمبراطور كاليجولا	
ثالثًا: الإمبراطور كلاوديوس	
رابعًا: الإمبراطور نيرون	
الفصل الرابع: **عام ثورات الجيوش وتولى الأباطرة الأربعة**	٦٧-٧٥
أولًا: ثورة اليهود في فلسطين	
ثانيًا: ثورة بلاد الغال	
ثالثًا: الإمبراطور جالبا	
رابعًا: الإمبراطور أوتو	
خامسًا: الإمبراطور فيتيلليوس	

الفصل الخامس: الأسرة الفلافية	٧٦-٨٨
أولًا: الإمبراطور فيسباسيانوس	
ثانيًا: الإمبراطور تيتوس	
ثالثًا: الإمبراطور دوميتيانوس	
الفصل السادس: عصر الأباطرة الصالحين	٨٩-١٠٧
أولًا: الإمبراطور نيرفا	
ثانيًا: الإمبراطور تراجانوس	
ثالثًا: الإمبراطور هادريانوس	
رابعًا: أنطونينوس بيوس	
خامسًا: ماركوس أوريليوس	
سادسًا: الإمبراطور كومودوس	
الفصل السابع اندلاع الصراع بين قادة الجيوش وقيام حكم الأسرة السيفيرية	١٠٨-١٢١
أولًا: بيرتيناكس	
ثانيًا: جوليانوس والصراع بين قادة الجيوش	
ثالثًا: سيفيروس وقيام حكم آل سيفيروس	
رابعًا: كاراكلا وجيتا	
خامسًا: ماكرينوس	
سادسًا: إلجابالوس	
سابعًا: الإسكندر سيفيروس وانتشار الفوضى حتى عهد دقلديانوس	
الفصل الثامن: دقلديانوس وإصلاحاته الجذرية	١٢٢-١٣٢
أولًا: نشأته وحياته	
ثانيًا: إصلاحات دقلديانوس:	
١. المجال الإداري (السلطة الرباعية)	

٢. المجال العسكري	
٣. النظم المالية والضرائب	
ثالثًا: اعتزال دقلديانوس ووفاته	
الفصل التاسع: سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وتحليل أسباب سقوطها	١٣٣-١٣٩
أولًا: انقسام الإمبراطورية إلى قسمين عام ٣٩٥م	
ثانيًا: سقوط الإمبراطورية عام ٤٧٦م	
ثالثًا: أسباب سقوط الإمبراطورية وتحليلها:	
١. الأسباب الاجتماعية	
٢. الأسباب الاقتصادية	
٣. الأسباب الدينية	
٤. غزوات الجرمان وتمركز القوة في أيديهم	
قائمة المراجع:	١٤٠-١٤٤

الفصل الأول

مصادر دراسة تاريخ الإمبراطورية الرومانية

أولًا: المصادر الوثائقية

ثانيًا: المصادر الأدبية

أهداف الفصل الأول

أولًا: المصادر الوثائقية

يُقصد بالمصادر الوثائقية مختلف أنواع الوثائق من الآثار كالمعابد والقصور والمنازل والمقابر والحمامات والمسارح والمدرجات والحصون والأسوار والبوابات وأقواس النصر والتماثيل والأعمدة، والنقوش، والمسكوكات، وأوراق البردي، والأوستراكا، واللوحات المصنوعة من الخشب أو البرونز أو المطلية بالشمع، والتوابيت، والشواهد الجنائزية، والنذور، والتمائم، والأواني الفخارية وغيرها. وجميع هذه الآثار تعتبر مصدرًا لا غنى عنه لدراسة تاريخ وحضارة الإمبراطورية الرومانية[١].

١. المباني الأثرية

تعتبر المباني الأثرية من المعابد والقصور والمنازل والمقابر والحمامات والحصون وغيرها من الآثار الثابتة مصدرًا مهمًا لدراسة تاريخ الإمبراطورية الرومانية، والتعرف على ملامح الحضارة الرومانية في عصرها الإمبراطوري في مجال الدين والفن والمجتمع؛ بل إنها تلقي الضوء على بعض الأحداث السياسية والعسكرية. وتبين مدى انتشار هذه الحضارة في الولايات الشرقية والغربية. فقد استعان الرومان في العصر الإمبراطوري ببنائين سوريين، وتأثروا بالطُرز المعمارية اليونانية. وعلى الجانب الآخر نجدهم ابتكروا طرزًا جديدة في بناء الحمامات والمدرجات، كما يتضح من المدرج الروماني الشهير "الكولوسيوم" (Colosseum). واشتهروا كذلك بشق الطرق، فأنشأوا منها شبكة رائعة في إيطاليا وفي خارج إيطاليا ربطت أجزاء الإمبراطورية ويسرت السفر من مكان لآخر. وكانت مبانيهم الأثرية تتميز بالضخامة والمتانة أكثر منها بالجمال والرونق، وتبدو نافعة مفيدة أكثر منها جذابة جميلة[٢].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، (القاهرة،١٩٧٠م)، ١٠٤- ١٠٥.

[٢] نفسه، ١٠٥-١٠٦.

شكل (١) الكولوسيوم[١]

شكل (٢) سور هادريانوس[٢]

[١] See: A. Woog, *The Roman Colosseum*, (San Diego, 2014), 10.
[٢] D. J Breeze, *Hadrian's Wall: A study in archaeological exploration and interpretation*, (Oxford, 2019), 160.

٢. النقوش

توجد مجموعة ضخمة من النقوش الرومانية المدونة على الحجر أو الرخام أو المعادن أو الخشب وغيرها من المواد التي لا تبلى بسرعة. وأغلب هذه النقوش ينتمي إلى العصر الإمبراطوري. وعدد هذه النقوش يزداد من سنة لأخرى بالنقوش الجديدة التي تكشف عنها الحفائر سواء في إيطاليا أو في الأقطار التي كانت ولايات تابعة لروما[١].

ومعظم ما لدينا من نقوش يرجع لعصر الإمبراطورية، فتُعد نقوش العصر الإمبراطوري أكثر عددًا من نقوش العصر الجمهوري وأكثر تنوعًا وأكثر أهمية. ويأتي على رأسها وثيقة "سجل أعمال المؤله أغسطس"، التي وصفها شيخ مؤرخي التاريخ الروماني المؤرخ مومسن (Mommsen) بأنها "ملكة النقوش اللاتينية" أو "غرة النقوش اللاتينية"، لما أثارته من مناقشات حادة سواء عند تحقيقها أو تفسيرها، والتي تُعرف باسم "أثر أنقرة". وهذه الوثيقة تسرد انتصارات المؤله أغسطس، التي أخضع بها العالم، وتبين إصلاحاته الإدارية والأموال التي أنفقها على الشعب الروماني[٢].

كذلك النقش المدون عليه المنشور الذي أصدره دقلديانوس في عام ٣٠١م، الخاص بتحديد أسعار السلع والأجور[٣].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٠٦.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، (القاهرة، ١٩٩١م)، ١٥.
يتضمن نقش أنقرة سجلات بألقاب وسلطات ومناصب أغسطس التي قبلها أو رفضها، وسياسته المالية والعمرانية، وسياسته العسكرية وفتوحاته. وكان أغسطس قد أمر بتدوينه على عمودين مستطيلين مغطى كل منهما بلوحات من البرونز وإقامتهما أمام ضريحه في ساحة الإله مارس (Campus Martius). لكن النقش الأصلي قد ضاع، وعُثر على أول صورة من النقش عام ١٥٥٥م في مدينة أنقرة. وهذا النقش مكتوب بصورتين واحدة باللاتينية والأخرى باليونانية. راجع: عبداللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٢٢هامش. وللمزيد عن النقش راجع:
A. Cooley, *Res gestae divi Augusti: text, translation, and commentary*, (Cambridge, 2009).

[٣] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٢٢.

شكل (٣) صورة نقش أعمال المؤله أغسطس[١]

[١] https://earlychurchhistory.org/politics/caesar-augustus-and-his-deeds/

٣. المسكوكات

نستقي من النقود أو المسكوكات معلومات كثيرة وبالغة الأهمية عن الإمبراطورية الرومانية. وذلك من خلال ما تحمله من صور وكتابات فتنوعت هذه الصور ما بين صور دينية وأسطورية وأسرية، ثم تطورت إلى صور عن "الفضيلة" في أواخر العصر الجمهوري[١].

خلال العصر الإمبراطوري توقف السناتو عن إصدار العملة الذهبية والفضية من دار السكة في روما، وآل أمر العملة إلى الإمبراطور فقد كان في أول الأمر يضربها بوصفه حاملًا لسلطة الإمبريوم، في بعض مراكز بالولايات؛ لكنه وكل فيما بعد مهمة سكها إلى عتقائه وعبيده. أما العملة البرونزية فكان يصدرها بصفته حاملًا لسلطة التريبونية أي ممثلًا للشعب بالتعاون مع مجلس الشيوخ، وكانت هذه العملة تحمل دائما حرفي (S.C) أي بقرار السناتو. وكانت المدن الإيطالية والولايات تُصدر هي الأخرى فئات من العملة البرونزية التي اقتصر سكها بعد عهد الإمبراطور كاليجولا (٣٧- ٤١م) على الولايات الشرقية[٢].

ولا تمدنا العملة بتاريخ مصور للحضارة الرومانية فقط؛ بل قد نستدل من التوزيع الجغرافي لأماكن اكتشافها عن حقائق مفيدة، ذلك أن اكتشاف أكداس من النقود كالتي طمرها أو دفنها أصحابها بقصد المحافظة عليها في أرض فرنسا خلال القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد يعيننا على تأريخ غزو قام به البرابرة أو تحديد مكان حدوثه، أو ربما يُعد دليلًا على حدوث ذعر أو شيء من هذا القبيل. وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من النقود الرومانية تم العثور عليه داخل نطاق الإمبراطورية الرومانية؛ إلا أن الحفائر كشفت عن وجود بعض هذه العملة خارج حدود الإمبراطورية في أماكن تقع بين اسكندناوه والهند وتدل كميات هذه

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٢٤، ١٣٨.

[٢] نفسه، ١٤١-١٤٢.

النقود وتواريخها على مدى رواج تجارة الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأولين بعد الميلاد، ومدى انكماشها في القرون التالية. وخير شاهد على ذلك العدد الضخم من نقود أغسطس وخلفائه المباشرين الذي عُثر عليه في الهند[١].

شكل (٤) عملات رومانية من العصر الإمبراطوري[٢]

٤. البردي

لا توجد أوراق البردي بوفرة إلا في مصر، ولم يُعثر حتى الآن على أوراق البردي خارج مصر إلا في أماكن قليلة توافرت فيها ظروف معينة ساعدت على حمايتها من التلف، مثل هيركولانيوم (Herculaneum) ودورا يوروبوس (Dura-Europos) "الصالحية" بسوريا[٣]. وقد أمدتنا وثائق البردي التي تم العصور عليها في مصر بوثائق سياسية وإدارية تعطي صورة صادقة للناس والحياة في إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية. كما تكشف الحفائر الأثرية في إقليم الفيوم سواء في كرانيس أو باخياس، أن هذه الوثائق لا تلقي الضوء على مصر فقط؛ بل أن بعضها يلقي الضوء على الإمبراطورية بكل عصورها وفتراتها[٤].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٤٣– ١٤٥.

[٢] Z. H. Klawans, *Reading and Dating Roman Imperial Coins*, 2nd ed., (Wisconsin,1959), 62-64.

[٣] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٤٦– ١٤٧.

[٤] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦.

ثانيًا: المصادر الأدبية

تشمل المصادر الأدبية مؤلفات المؤرخين والخطباء والشعراء وفقهاء القانون وغيرهم من الكُتاب الرومان أو اليونان التي وصلت إلينا. وتتضمن معلومات عن تاريخ روما القديمة في العصر الإمبراطوري[١].

١. استرابون (٦٤ق.م- ٢٤م):

عاش استرابون خلال الفترة (٦٤ق.م- ٢٤م)، وهو مؤرخ وفيلسوف وجغرافي يوناني، يُعتقد أنه ولد في أماسيا (Amasya) عاصمة مملكة بونطوس (Pontos). كتب استرابون أول كتبه الموسوعية التاريخية في روما بعنوان "مذكرات تاريخية" (*historika hypomnimata*). وجاءت هذه الموسوعة في ٤٧ كتابًا، بقت منها أجزاء متناثرة في كتابات مؤرخين متأخرين[٢].

كما اشتهر استرابون بموسوعته الجغرافية بعنوان (Geographia) وجاءت في ١٧ كتابًا. وتُعد كتابة استرابون من نوع الجغرافية التاريخية، فهي تهتم بوصف الانسان بقدر ما تهتم بوصف المكان، ونظرًا لأنه أمضى معظم حياته فيما بين سقوط الجمهورية وقيام الإمبراطورية، يُعد كتابه هذا من أهم السجلات المعاصرة لتلك الحقبة الخطيرة. وتتميز كتابته بالموضوعية وأحيانًا بدرجة عالية من الجفاف والبعد عن العاطفة[٣].

٢. ليفيوس (٥٩ق.م- ١٧م):

عاش تيتوس ليفيوس (Titus Livius) فيما بين عامي (٥٩ق.م- ١٧م)، وهو من مواليد باتافيوم (Patavium) (بادوا Padua الحديثة). ذهب إلى روما حوالي عام ٣٠ق.م[٤]. يُعد ليفيوس من أعظم كتاب الحوليات الرومان، كتب عن تاريخ روما منذ تأسيس المدينة

---

(١) عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ٣.
(٢) أحمد عتمان، الأدب الإغريقي: تراثًا انسانيًا وعالميًا، ط٣، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ٥٩٨.
(٣) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، (الإسكندرية، ١٩٩٩)، ١٧- ١٨.
(٤) أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، (الكويت، ١٩٨٩م)، ٢٤٣.

حتى سنة ٩م، لذا حمل مؤلفه هذا الاسم "منذ تأسيس المدينة" أو "المدينة منذ تأسيسها". ويقع مؤلفه في ١٤٢ كتابًا وصلنا منها ٣٥ فقط. ويُعد تاريخ ليفيوس هو المصدر الأساسي الذي نقل عنه كثير من المؤرخين. تغلب على ليفيوس النزعة الأدبية، فهو أديبًا قبل أن يكون مؤرخًا، ولا يباريه أحد في تصويره الوقائع والأشخاص. وهو لا يهدف في كتابته إلى التحري العلمي أو الاستقصاء الدقيق؛ بل يهدف إلى الإصلاح الخُلقي عن طريق العبر المستخلصة من الماضي. ويؤخذ عليه عدم فهمه العميق للظروف الجغرافية والعلوم العسكرية والتيارات السياسية. ويعوزه قدر كبير من ملكة النقد، ولا يفقه شيئًا في فلسفة التاريخ؛ إنما يختار من الوقائع ما يخدم أغراضه ويوليها اهتمامه، ويبث في ثنايا التاريخ غايته الأخلاقية، وتحيزه لطبقة السناتو[١].

٣. باتيركولوس (٢٠ق.م- ٣٠م)[٢]:

هو فيلليوس باتيركولوس (Velleius Paterculus)، ولد ونشأ في عهد أغسطس، تولى منصب البرايتور وهو في سن الثلاثين. قام بكتابة مختصرة لتاريخ روما، ويعيب كتابته شدة حماسه للإمبراطور أغسطس، مما يدل على مدى شعبية أغسطس ونجاح أساليبه الدعائية. ورغم إعجاب باتيركولوس الشديد والمبالغة المفرطة في وصف أعمال أغسطس؛ إلا أنه يتمتع بصفة المعاصرة، فهو يصف أعمالًا وإنجازات قد شاهدها أو كان قريبًا منها[٣].

٤. بلينيوس الأكبر (٢٣م- ٧٩م):

كان بلينيوس الأكبر أو جايوس بلينيوس سيكوندوس (Gaius Plinius Secundus) مقربًا من الإمبراطور فيسباسيانوس (Vespasianus)، وقد عُين قائدًا لبعض وحدات الأسطول. لقى حتفه بسبب فضوله العلمي أثناء ترحيل الأهالي من منطقة فيزوف، التي نكبتها ثورة

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ١٥- ١٦.
[٢] D. Potter, *Literary Texts and the Roman Historian*, (London, 1999), 166.
[٣] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ١٦- ١٧.

البركان عام ٧٩م. وقد كان بلينيوس عالمًا موسوعيًا تناول في مؤلفاته العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم واللغة. إلا أن مؤلفاته ضاعت ولم يبق لنا منها سوى موسوعة التاريخ الطبيعي، التي تقع في ٣٧ كتابًا، وتبحث في علوم الجغرافيا والأجناس والسلالات ووظائف الأعضاء وعلوم الحيوان والنبات والصيدلة والمعادن والتعدين. وتحتوي الموسوعة على عشرين ألف مادة مستقاة من مؤلفين يونان ورومان. وكان بلينيوس شغوفًا بالمعرفة لذاتها، وإن لم يكن هو نفسه باحثًا علميًا. وعلى الرغم مما يشوب موسوعته من معلومات سطحية أو زائفة؛ إلا إنها تمدنا بفيض من المعلومات عن النظم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسة عند الرومان[١].

٥. فرونتينوس (٣٠م- ١٠٤م):

ولد يوليوس فرونتينوس (Julius Frontinus) في عام ٣٠م. واختير برايتورًا (Praetor) عام ٧٠م وقنصلًا في نهاية عام ٧٣م، ثم واليًا على بريطانيا في الفترة ٧٤- ٧٨م، ثم مديرًا لمرافق المياه عام ٩٧م. كتب فرونتينوس في العلوم العسكرية والاستراتيجية والقنوات المائية. ومؤلفاته مكتوبة بأسلوب واضح غير معقد، لم يصلنا سوى مقتطفات من بحثه في مسح الأراضي، وضع كل كتابه في الفن العسكري الروماني؛ لكن من حسن الحظ أن وصلنا بحثه في فن قيادة الجيوش، الذي يقع في أربعة كتب. كما بدأ فرونتينوس بعد تعيينه مديرًا لمرافق المياه في روما عام ٩٧م –عهد الإمبراطور نيرفا- في كتابة مؤلف من جزأين عن تموين روما بالمياه وأتمه في عهد تراجانوس (Trajanus) (٩٨- ١١٧م)، وفيه يصف القنوات المعلقة وتاريخها، شارحًا التفاصيل الفنية الخاصة بكمية المياه وتوزيعها، مع دراسة التشريعات الخاصة بهذا المرفق وانتفاع الأفراد والهيئات الحكومية به[٢].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ٢٧-٢٨.

[٢] نفسه، ٣٢.

٦. يوسيفوس (٣٧م- ١٠٠م)[١]:

يوسيفوس (Flavius Josephus) هو مؤرخ يهودي كتب خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي؛ لكنه قصر اهتمامه على اليهود وتراثهم. وتعتبر الأجزاء الأخيرة من كتابه "تراث اليهود" وكتاب "حرب اليهود" من المصادر التي تلقي ضوءًا على العلاقة بين اليهود والرومان وظروف فلسطين في العصر الإمبراطوري الأول[٢].

٧. تاكيتوس (٥٥م- ١٢٠م)[٣]:

هو أول مؤرخ عظيم في العصر الإمبراطوري، ينتمي إلى دوائر السناتو، كتب في عهد الإمبراطور تراجانوس. وبسبب انتمائه لدوائر السناتو فقد كان شديد الحساسية للشئون السياسية، كما كان على علم بأعمال ووثائق هذه الهيئة السياسية الخطيرة. ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها مجموعة وثائق السناتو المعروفة باسم (Acta Senatus)، وهي بمثابة محاضر جلساته، وتتضمن المناقشات وخطب الأعضاء والأباطرة، والنشرة اليومية التي كانت تصدر عن الإدارة الحكومية. ومن هنا نجد أن تاكيتوس أتيحت له فرصة الإلمام بأكبر قدر من المعلومات عن الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الأول[٤].

كتب تاكيتوس عدة كتب أهمها الحوليات (Annales) التي أدت دورًا مهمًا في تغطية أحداث الفترة ما بين ١٤م و٦٦م رغم الفجوات التي تتخللها. ولحسن الحظ ترك لنا تاكيتوس مؤلفًا أخر أسماه "التواريخ" (Historiae) وهو يغطي أحداث عام ١٩م وجزءًا كبيرًا من أحداث عام ٧٠م[٥].

---

[١] A. C. Thiselton, *Hermeneutics: An Introduction*, (Michigan, 2009), 70.

[٢] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٢٥.

[٣] E. Sreedharan, *A Textbook of Historiography, 500 B.C. to A.D. 2000*, (New Delhi, 2004), 27.

[٤] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٢٠.

[٥] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣-١٤.

٨. بلينيوس الأصغر (٦١- ١١٣م):

هو جايوس بلينيوس كايكيليوس سيكوندوس (Gaius Plinius Caecilius Secundus) عاش خلال الفترة (٦١- ١١٣م)[١]. وهو ابن اخت بلينيوس الأكبر، عاش في عهد الإمبراطور تراجانوس، وكان على صلة وثيقة به، وتعتبر الرسائل التي تبادلها مع تراجانوس من المصادر التي تلقي ضوءًا على العلاقات الشخصية بينهما. وتُفيد رسائله مؤرخ الحياة الاجتماعية عن طريق الأشخاص الذين يرد ذكرهم في الخطابات[٢].

٩. سويتونيوس (٦٩م- ١٥٠م):

عاش سويتونيوس (Suetonius) فيما بين عامي (٦٩- ١٥٠م)، وعمل في القصر الإمبراطوري سكرتيرًا للإمبراطور. عالج سويتونيوس الكتابة التاريخية على طريقة كتابة "السير"، وقد وصلنا من أعماله سير الأباطرة الاثني عشر باللغة اللاتينية، ويتناول فيه سير الأباطرة ابتداءً من يوليوس قيصر حتى دومتيانوس. وتُعد كتابته ذات طابع قصصي وولع بإيراد الأخبار الغريبة، وتصويره لشخصيات الأباطرة يغلب عليها طابع الإثارة[٣].

١٠. أبيانوس (٩٥م- ١٦٥م):

ولد أبيانوس (Appianos) في الإسكندرية واشتغل بالمحاماة، رحل إلى روما حيث عين في وظيفة بديوان الخزانة، ولا بد أنه حصل على المواطنة الرومانية واقتنى ثروة تؤهله إلى الانخراط في هيئة الفرسان. وقد شغف أبيانوس بالتاريخ وأعجب بالإمبراطورية، فكتب تاريخًا لروما متبعًا في ذلك منهجًا جديدًا قائمًا على أساس جغرافي أو إقليمي. ويقع مؤلفه الذي يحمل عنوان "التاريخ الروماني" في ٢٤ كتابًا لم يصلنا منها كاملًا إلا تسعة. ويُعد أبيانوس مؤرخ

---

[١] M. Burger, *Sources for the History of Western Civilization: From Antiquity to the Mid-Eighteenth Century*, 2nd ed., (Toronto, 2015), 2015.

[٢] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٢٤.

[٣] نفسه، ٢٢.

سطحي لا يتعمق أو يتفلسف، وتعوذه ملكة النقد التاريخي، فهو راوي أكثر منه مؤرخ، ويؤخذ عليه عدم الدقة في التفاصيل[١].

١١. كاسيوس ديون (١٥٥- ٢٣٠م):

هو كاسيوس ديون كوكيانوس (Cassius Dio Cocceianus) المشهور خطأً باسم ديون كاسيوس عاش خلال الفترة من (١٥٥- ٢٣٠م)، ولد في مدينة نيقية أو نيقايا (Nicaea) بولاية بيثينيا (Bithynia) بآسيا الصغرى[٢]. هاجر إلى روما بصحبة والده الذي كان أحد حكام ولايات آسيا الصغرى، وهناك تلقى تعليمه ودرس القانون، ثم أصبح عضوًا في مجلس السناتو عام ١٨٠م، وأصبح برايتورًا عام ١٩٣م. ولما تولى الإمبراطور الإسكندر سيفيروس (Alexander Severus) اختاره شريكًا معه في القنصلية عام ٢٢٩م. لكن كاسيوس ديون آثر أن يتقاعد ويعود إلى موطنه الأصلي ليعكف على كتابة موسوعة التاريخ الروماني باللغة اليونانية. وبعد عشرين عامًا من العمل خرج عمله الضخم الذي يتناول تاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ أسطورة أينياس الطروادي إلى ٢٢٩م. ويعاب على كاسيوس ديون إيمانه بالخرافات والخزعبلات وتملقه لحكام عصره ومحاباته للعصر الإمبراطوري؛ لكن كل هذا لا يقلل من حيوية وصفه ووضوح هدفه ودقة عباراته[٣].

تعتبر كتابة كاسيوس ديون ذات قيمة كبيرة، لأنه استمد معلوماته من مصادر معاصرة، وأحيانًا استخدم تقارير أو بيانات كتبها أفراد شاركوا في الأحداث ذاتها. وعلى الرغم من أن كتابه لم يصل لنا كاملًا؛ لكن الأجزاء التي وصلت إلينا تعتبر من أقيم ما نمتلك في تاريخ الإمبراطورية الرومانية[٤].

---

[١] عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ٦٣-٦٥.

[٢] نفسه، ٦٦.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣.

[٤] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٢٥-٢٦

١١. شعراء العهد الأغسطي:

تُعد أعمال الشعراء الذين عاشوا في عهد أغسطس من أهم المصادر عن فترة حكم أغسطس، نظرًا لحرص أغسطس على استخدام الشعر والشعراء لأغراض الدعاية لعهده الجديد، بحيث أصبح هناك ما اصطلح على تسميته "الأغسطسية" (Augustanism) وهي فلسفة الحكم الجديد والتي حاول بعض الشعراء أن يبشروا بها وأن يمتدحوها طمعًا في الفوز برضاء الإمبراطور، ويأتي على قمة هؤلاء الشعراء فيرجيليوس (Vergilius) صاحب أشهر ملحمة رومانية وهي "الإنيادة"، التي كتبها بتكليف من أغسطس نفسه. وعلى الرغم من أن موضوع الملحمة هو تأسيس روما القائم على أسطورة قديمة؛ لكن التصور الفني لها هو أنه إذا كان رومولوس قد أسس مدينة روما في القرن الثامن قبل الميلاد، فأن أغسطس هو الذي رد لها الحياة بعد أن أوشكت الحروب الأهلية أن تقضي عليها[١].

هناك أيضًا الشاعر هوراتيوس (Horatius)، الذي يظهر ولاءه للعهد الجديد في عدد من قصائده وخاصة فيما يُعرف بالأناشيد التي اشتهرت باسم "القصائد الرومانية"، التي يمجد فيها الفضائل الرومانية القديمة، التي كان يدعوا ويبشر بها الإمبراطور أغسطس، وأهمها الاعتدال والشجاعة والوطنية والعدل والتقوى. وفي هذه النماذج الأدبية يجد المؤرخ أصداء لما يحدث في المجتمع، وكثيرًا منها يفيد في فهم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية[٢].

١٢. مصادر القانون: المراسيم والفقهاء:

تُعد قرارات الإمبراطور التشريعية أو المراسيم من أهم مصادر دراسة تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه القرارات أو المراسيم تصدر في أربعة صور هي[٣]:

---

[١] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ١٨-١٩.

[٢] نفسه، ١٩.

[٣] عبداللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ٧٨-٧٩.

أ- المنشورات: وهي أوامر عامة بشأن مسائل مستحدثة في الغالب، وكان الإمبراطور يصدرها إما لولاية أو مدينة واحدة أو أكثر.

ب- الفتاوي: وهي آراء فقهية كان الإمبراطور يصدرها ردًا على استفسارات الحكام أو التماسات الأفراد في بعض المسائل القانونية.

جـ- الأحكام: وهي الأحكام القضائية التي كان الإمبراطور يصدرها مستعينًا بمجلسه الاستشاري، في القضايا التي يرى الفصل فيها مباشرة دون إحالتها إلى قاض.

د- التعليمات: وهي التوجيهات العامة التي كان يصدرها الإمبراطور أو الديوان الإمبراطوري لحكام الولايات لضمان حسن سير العمل.

كذلك تعتبر فتاوي الفقهاء أو شراح القانون مصدرًا من مصادر القانون الروماني، ففي العصر الإمبراطوري اعترفت الدولة ببعض الفقهاء النابهين بأن خولتهم امتيازًا يعرف بحق الإفتاء العام، واكتسبت فتاوي هؤلاء الفقهاء صفة رسمية. ومنذ عهد هادريانوس (Hadrianus) إن لم يكن قبله أصبح هؤلاء الفقهاء يُضمون عادة كأعضاء في مجلس الإمبراطور الاستشاري[١].

[١] عبداللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، ٧٩، ٨٥.

الفصل الثاني
أوكتافيوس وقيام الإمبراطورية الرومانية

أولًا: موقعة أكتيوم ٣١ق.م

ثانيًا: تسوية ٢٧ق.م

ثالثًا: سُلطات أوكتافيوس

رابعًا: ألقاب أوكتافيوس

خامسًا: إصلاحات أغسطس

سادسًا: تنظيم وراثة العرش

أهداف الفصل الثاني

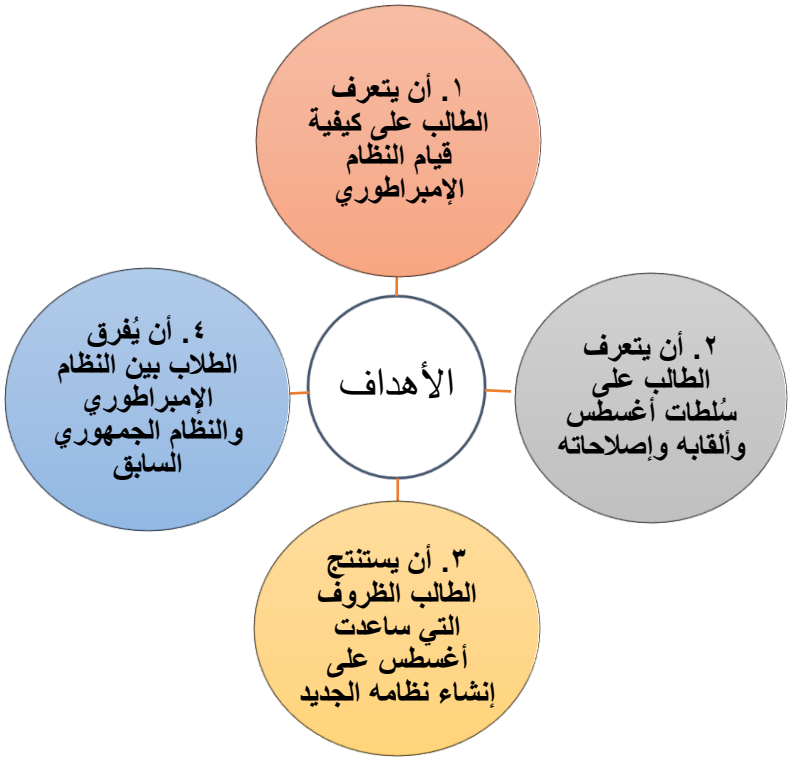

أولًا: موقعة أكتيوم ٣١ق.م وبداية التحول إلى النظام الإمبراطوري

صدق السير جون هامرتون (John Hammerton) عندما وصف معركة أكتيوم (Actium) عام ٣١ق.م بأنها إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ العالم. وعلى الرغم من أن تفاصيل المعركة لا تزال غامضة، حيث لا نعرف شيئًا عن أطوارها ولا طبيعتها ولا عن الوقت الذي استغرقته. لكن يبدو أنها كانت اشتباكًا بحريًا هزيلًا بين سفن أنطونيوس (Antonius) وكليوباترا السابعة (Cleopatra VII) من ناحية، وبين سفن أوكتافيوس (Octavius) من ناحية أخرى، وذلك بالقرب من شواطئ اليونان الغربية عند أكتيوم. ويقال عن المعركة أنها معركة بحرية لأن الجيوش البرية للجنرالين المتقاتلين لم تشتبك على الاطلاق، وعلى أية حال فقد انهار أنطونيوس على الفور قبل أن تنتهي المعركة[١].

لقد كان وضع أنطونيوس هزيلًا، وكانت قواته منهارة معنويًا بسبب ظهور كليوباترا وسطهم وتدخلها في رسم الخطط العسكرية وخنوع أنطونيوس لها مما أذهب عنه سحر القيادة. كما أن دعاية أوكتافيوس الموجهة إلى جنود أنطونيوس كانت قوية ومؤثرة، وركزت هذه الدعاية على أنهم يرفعون السلاح من أجل ملكة شرقية مكروهة بين الرومان. فضلًا عن إعلانه الصفح عن الجنود الذين يعودون إلى صوابهم ويتركون معسكر أنطونيوس وينضمون إلى قواته. هذه الدعاية كانت السبب في هروب عدد كبير من جنود أنطونيوس إلى معسكر أوكتافيوس. كما نجح أوكتافيوس في ضرب الحصار البري حول قوات أنطونيوس وقطع المؤن والإمدادات عنهم، وهو ما أدى إلى نقص في الطعام وانتشار الوباء وانهيار الروح المعنوية[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨.

[٢] نفسه، ١٨-١٩.

بدأ الالتحام البحري في صيف عام ٣١ق.م عند أكتيوم قرب الشاطئ الغربي لبلاد اليونان، وخلال أعنف مراحل القتال تسللت كليوباترا يتبعها الأسطول المصري عائدة إلى الإسكندرية. فقد قال الشعراء الرومان أن الملكة المصرية ولت هاربة مذعورة من هول بأس أوكتافيوس، وآخرون ذكروا أن الملكة تخلت عن أنطونيوس فجأة عندما ثبت عدم جدواه؛ لكن أغلب الظن أن مستشاريها نصحوها بعدم الاستمرار في هذه المغامرة الخاسرة. وارتكب أنطونيوس خطأً أفدح عندما ترك المعركة برمتها وانسحب في أثر مليكته تاركًا قواته بلا قائد فقدم النصر هدية إلى أوكتافيوس. وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ المعارك الحربية التي تحدد فيها معركة بحرية مصير بلد بعيد يقع وراء البحار على بعد آلاف الأميال، وهي مصر التي تحولت من دولة مستقلة إلى ولاية رومانية[١].

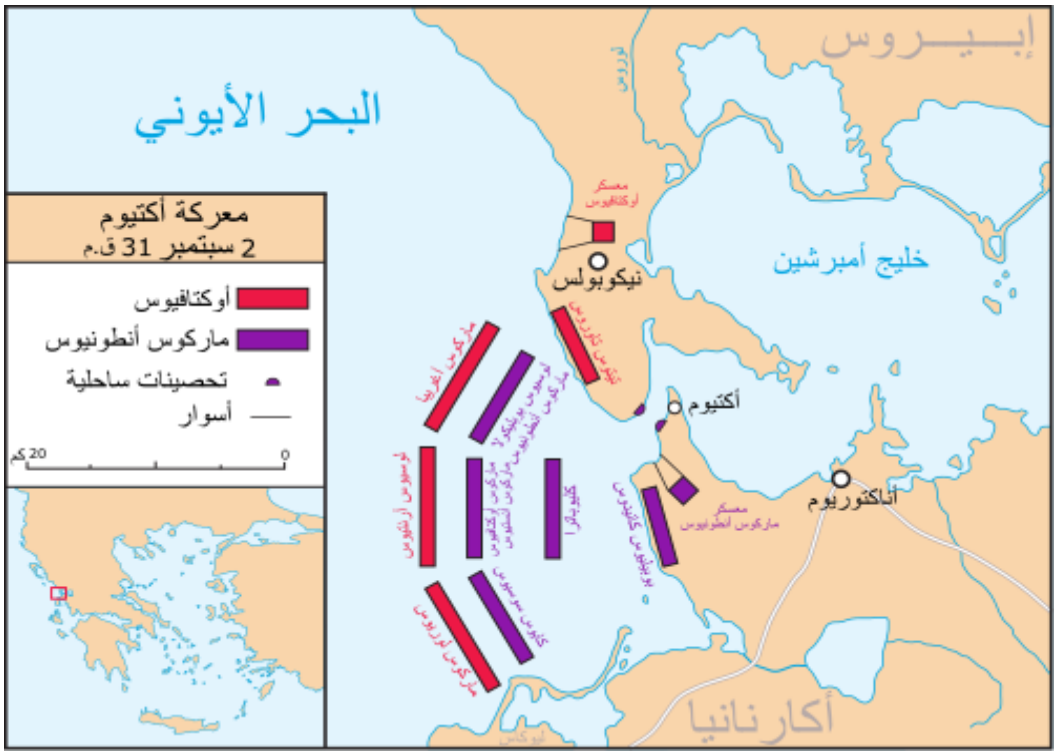

خريطة (١) توضح موقعة أكتيوم عام ٣١ق.م[٢]

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٩.

[٢] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%88%D9%85

بعد مرور عام على هذا الانتصار زحف أوكتافيوس بقواته إلى مصر ودخلت قواته مدينة الإسكندرية في الأول من أغسطس عام ٣٠ق.م، حيث استولت عليها دون مقاومة. واحترامًا للمدينة وتاريخها أمر جنوده بعدم التعرض للناس ولا لأموالهم، وألقى خطابا باللغة اليونانية أبدى فيه احترامًا وتقديرًا وزار قبر الإسكندر الأكبر وخلع عليه تاجه ووافاه ما يستحقه من التبجيل، ولما عُرض عليه زيارة قبور البطالمة رفض[١].

وأثناء احتفال أوكتافيوس بانتصاره جاءته الأنباء بأن أنطونيوس قد انتحر. وكان على كليوباترا أن تختار بين أمرين إما الموت الكريم أو أن تساق أمام عربة أوكتافيوس وتدخل روما في ثياب الذل والعار. واختارت الملكة المصرية الموت الذي يليق بملكة تنحدر من سلالة ملكية، وبطريقة تتناسب مع مظهرها كوريثة لعرش الفراعنة، وتظهرها كقديسة أمام المصريين، وربما رمزًا للمقاومة ضد الرومان. اختارت الملكة المصرية حية الكوبرا رمز التاج المصري لتموت بها كرسالة وداع للمصريين بأنها عاشت وماتت مصرية. وبموت كليوباترا آلت مصر إلى حوزة روما، وأعلن أوكتافيوس للشعب الروماني على رأس عملة تذكارية خاصة سكها احتفالًا بهذه المناسبة "أن مصر قد سقطت". وبضم مصر إلى حوزة الولايات الرومانية نجحت روما في ضم جميع أقطار البحر الأبيض المتوسط –الذي أضحى بحيرة رومانية– في بناء سياسي وحضاري واحد دام فترة تزيد عن خمسة قرون من الزمان هي التي نسميها الإمبراطورية الرومانية. وكان ضم مصر لروما نقطة التحول من عصر الجمهورية الرومانية إلى عصر الإمبراطورية الجديد[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تقديم: حسين أحمد الشيخ، (الإسكندرية، ٢٠٠٧م)، ٤١– ٤٢.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٠– ٢٢.

ثانيًا: تسوية ٢٧ق.م بين أوكتافيوس والسناتو

في عام ٢٧ق.م قام بطل روما بعملية تغيير شاملة تحت ادعاء إحياء الجمهورية؛ لكنه في الحقيقة أماتها ليعطي فرصة لمولد النظام الإمبراطوري الجديد ليحل محلها. وخلال ذلك أسقط عن نفسه اسم أوكتافيوس ونهض يحمل اسمًا جديدًا هو أغسطس –يعني المهيب أو الجليل– وهو لقب يجمع بين المهابة الدنيوية والدينية، منحه السناتو إياه تكريمًا لفتح مصر. بل زيادة في هذا التكريم أطلق هذا اللقب على الشهر الثامن الذي فُتحت فيه مصر، فأصبح يعرف باسم أغسطس، وأطلق على الشهر الذي يسبقه اسم أبيه بالتبني يوليوس قيصر، فأصبح يعرف باسم شهر يوليو[١].

ولكي يظهر أغسطس ديمقراطيًا زاهدًا في السلطة أمام السناتو والشعب الروماني، أعلن أنه يضع الجمهورية وممتلكاتها بين يدي الشعب والسناتو، وأنه يضع نفسه أيضًا تحت تصرفهم بصفته خبيرًا في إدارة شئون البلاد، وخاصة بعض الولايات الرومانية التي يتوجب أن تكون تحت إدارته نظرًا لوضعها الحرج سواء من الناحية العسكرية أو من ناحية الاستقرار الحضاري، ومن ثم قسم الولايات الرومانية بينه وبين السناتو، فأعطى السناتو حق الإشراف على حكم الولايات المستكينة التي يكون في استطاعة السناتو أن يجني ثمارها بدون خوف من التمرد أو الثورة، خاصة وأنه –أي السناتو– لم يعد يملك زمام الجيوش. وبهذا المنطق منح السناتو حق الإشراف على ولاية أفريقيا، ونوميديا (الجزائر)، وولاية آسيا، وبلاد اليونان بالإضافة إلى إبيروس الملحقة بها، ومقدونيا، وصقلية، وكريت، وبرقة (قوريني) والأراضي الليبية الواقعة حولها، وبونطوس وأراضي بيثينيا الواقعة حولها، وسردينيا، وبايتيكا في جنوب إسبانيا. وعُرفت هذه الولايات باسم الولايات السناتورية[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ١٦.
[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٤.

أما أغسطس فقد احتفظ لنفسه بما تبقى من الولايات الرومانية ويشمل ما تبقى من إسبانيا، وكل بلاد الغال وما حولها، وبلجيكا، وألمانيا حتى حدود الراين، وفي الشرق احتفظ لنفسه بولاية سوريا الكبرى (سوريا ولبنان وفلسطين حاليًا)، وفينيقيا، وكيليكيا بآسيا الصغرى، بالإضافة إلى مصر التي جعلها ملكًا خاصًا بالإمبراطور لوضعها الفريد. وقد تحكم أغسطس في هذه الولايات تحكمًا كاملًا لأنه كان يملك القيادة العسكرية العليا فيها والخزانة الخاصة بها، لأنه فصل بين الخزانة العامة للدولة والخزانة الخاصة بولاياته[١].

خريطة (٢) توضح الولايات السناتورية والولايات الإمبراطورية أواخر عهد أغسطس عام ١٤م[٢]

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٥.

[٢] https://sites.google.com/site/pzaugustus/home-1/map

ثالثًا: السُلطات التي حكم بموجبها أوكتافيوس الإمبراطورية

حكم أوكتافيوس الإمبراطورية الرومانية بموجب مجموعة من السلطات هي[١]:

١. الإمبريوم العسكري (Imperium)

٢. اللقب الأغسطي (Augustus)

٣. اللقب الإمبراطوري (Imperator)

٤. السُلطة التريبونية (Tribunicia Poestas)

٥. سُلطة الإمبريوم الأعلى (Imperium Maius)

١. الإمبريوم العسكري

كان أوكتافيوس يعرف نقطة الضعف في جهاز الدولة، وهي الجيوش الخاصة التي كان يجندها الجنرالات لحسابهم، ويملون بواسطتها إرادتهم على الدولة منتهزين ضعف السناتو، وعدم قدرته على فرض سلطته عليهم. عندئذ قرر بصفته حاميًا للسلام وللدستور أن تكون السلطة العسكرية في يده هو وحده. كان ذلك في ١٣ يناير عام ٢٧ق.م عندما أصدر السناتو والجمعية العامة قرارهما بمنحه سلطة الإمبريوم العسكرية لإدارة الولايات التي كان لا يزال يصعب تحقيق السلام فيها مثل إسبانيا وبلاد الغال وسوريا ومصر. وقد منحت له سلطة الإمبريوم العسكري لمدة عشرة سنوات قابلة للتجديد. ومن الناحية النظرية لم يكن من حق أوكتافيوس استخدام هذه السلطة في الولايات السناتورية؛ لكنه من الناحية الواقعية والعملية كان يتدخل في شئون إدارتها عن طريق السلطة المدنية (Auctoritas). وهكذا ركز أوكتافيوس السلطة العسكرية بين يديه، حتى أضحى القائد الأعلى والأوحد لجيوش الإمبراطورية[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٤.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٥-٢٧.

٢. اللقب الأغسطي

هو لقب أنعم به السناتو على أوكتافيوس في ١٦ يناير عام ٢٧ق.م ويعني المهيب أو الجليل كما يعني أيضًا "المختار بحسن الطالع". وكان هذا اللقب يضفي على أوكتافيوس هيبة خاصة؛ لأنه كان يطلق أساسًا على الآلهة. وقد قُدم له هذا اللقب عندما أهدي إليه إكليلًا من الغار ودرعًا، تعبيرًا واعترافًا بشجاعته وإقدامه وعدله وتقواه. وبمقتضى هذا اللقب أناب أغسطس عنه ممثلين شخصيين (Legati) لحكم الولايات التي كانت تحت إدارته. كما أن الولايات السناتورية الحديثة العهد بالثقافة والنظام الروماني قد وضع بها أغسطس قوات رومانية لحفظ الأمن وقمع الثورات[١].

٣. اللقب الإمبراطوري

كانت أول مرة يلقب فيها أوكتافيوس بلقب إمبراطور بعد انتصاره في موقعة موتينا (Mutina) في غالة عام ٤٣ق.م، وقد حول أوكتافيوس هذا اللقب إلى صفة دائمة، بل اتخذه كاسمه الأول في عام ٣٨ق.م. وقد تلقب بهذا اللقب قبله ماريوس (Marius) وسوللا (Sulla) وبومبيوس (Pompeius) ويوليوس قيصر (Julius Caesar)[٢].

وبعد عام ٢٧ق.م استخدم أوكتافيوس هذا اللقب بطريقتين، كاسمه الأول، وكلقب شرفي يدل على انتصاراته التي أحرزها هو بنفسه أو التي أحرزها له ضباطه نيابة عنه. وأصبح لقب إمبراطور حقًا مكتسبًا له بصفته قائدًا أعلى لجيوش الإمبراطورية، وصاحب الأمر والنهي في ولايات الإمبراطورية. وقد سار خلفاء أوكتافيوس على نهجه وأصبح كل حاكم روماني يطلق على نفسه لقب إمبراطور[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٨.

[٢] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٥- ٤٦.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٩.

٤. السلطة التريبونية

منح السناتو لأغسطس عام ٢٣ق.م حقوق تريبون العامة، وهي سلطة عملية بالنسبة لأغسطس حرص على الاحتفاظ بها مدى الحياة، والتي بموجبها حصل على[١]:

١. حق القداسة والمناعة ضد أي عقوبة.

٢. حق تقديم المساعدة العسكرية لمن يطلبها.

٣. حق الاعتراض.

٤. حق دعوة الجمعية القبلية للانعقاد.

٥. حق سن القرارات.

٦. حق دعوة السناتو للانعقاد.

٥. سُلطة الإمبريوم الأعلى

بمقتضى سلطة الإمبريوم الأعلى تمكن أغسطس من وضع حكام الولايات الرومانية الأخرى تحت أوامره وتصرفه. وقد حرص أغسطس على ألا يسلم هذه السلطة على الإطلاق فعندما كادت مدة سريانها تنتهي عام ١٨ق.م جددها لمدة خمس سنوات أخرى وكرر هذا الأمر مرة أخرى في عام ١٣ق.م، ثم أصبح يجدد مدتها كل عشرة سنوات إلى أن مات[٢].

٦. سُلطات شرفية أخرى

كذلك دعم أغسطس نفسه بعدد من الامتيازات نظرًا لقيمتها السلطوية إذ حصل على حق أولوية التحدث في اجتماعات السناتو، وحق إعلان الحرب ومعاهدات السلام، وحق إصدار القرارات العليا. كما كان يتمتع منذ عام ٤٣ق.م بالأولوية عند الاقتراع على المشروعات أو كما يقول هو في ذلك: "لقد منحني –السناتو– مرتبة القنصلية عند الاقتراع"[٣].

---

(١) أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٦.
(٢) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣١.
(٣) نفسه، ٣٢.

رابعًا: ألقاب أوكتافيوس

١. لقب قيصر

أول لقب حصل عليه أوكتافيوس في قائمة ألقابه المهيبة هو لقب "قيصر"، الذي اتخذه اسمًا له بعد وفاة يوليوس قيصر مباشرة، والعملة التي أصدرها تثبت بوضوح أنه احتفظ بهذا الاسم حتى بعد موقعة أكتيوم، رغم إنه لم يعد في حاجة إلى الدعم الأدبي لهذا الاسم من أجل اجتذاب الجنود له[١].

٢. لقب إمبراطور

ثاني الألقاب التي اتخذها أوكتافيوس هو لقب "إمبراطور"، والذي جعله أيضًا جزءًا من اسمه الرسمي، وهو لقبًا يتميز بالعراقة والاستعلاء. فكان القائد الأعلى للجيش المنتصر يلقب بلقب "إمبراطور"، وكان يحتفظ باللقب حتى بعد موكب النصر. وتلقب به من قبل ماريوس وسوللا وبومبيوس ويوليوس قيصر. وتلقب به أوكتافيوس سبعًا وعشرين مرة في حياته، لانتصارات حققها بنفسه أو بواسطة نوابه من القواد[٢].

٣. لقب رئيس الدولة

هناك لقب ثالث لم يستخدم في التسمية الرسمية؛ لكن ظل له أهمية خاصة بين ألقاب أوكتافيوس وهو لقب "رئيس الدولة" (Princeps Civitatis) أو "الرئيس" (Princeps)، ومنه أشتق الاسم الذي أطلق على النظام السياسي الذي أنشأه أوكتافيوس "النظام الرئاسي"، ومنه أشتقت أيضًا كلمة (Prince) بمعنى أمير[٣].

---

[١] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٨١.

[٢] نفسه، ٨١.

[٣] نفسه، ٨٢.

٤. لقب أبو الوطن

حصل أوكتافيوس على هذا اللقب في العام الثاني قبل الميلاد، وهو أعلى لقب أو منصب شرفي يمكن الإنعام به على شخصية سياسية. ومن المعروف أن شيشرون قد حصل على هذا اللقب عقب احباطه مؤامرة كاتيلينا. وقد قُدم هذا الاقتراح باسم أنصار بروتوس من الجمهوريين والذين حاربوا ضده في موقعة فيليبي (Philippi)، وهو ما يعني استسلام أخر حصن من حصون الأرستقراطية القديمة وتحقيق المصالحة الوطنية الشاملة، ونهاية عصر دامي تطاحنت فيه طبقات المجتمع الروماني[١].

٥. لقب أغسطس

اجتمع السناتو ليعبر عن شكره واعترافه بالجميل تجاه أوكتافيوس في ١٦ يناير عام ٢٧ق.م، وكان من بين القرارات التي اتخذها هي وضع إكليل من الغار على باب منزله، وأن يعلق في السناتو درع ذهبي مسجل عليه فضائل أوكتافيوس وهي: الشجاعة – الرحمة – العدل – الإيمان. وكذلك قرر أن يضفي عليه لقب جديد يفوق كل ألقابه بريقًا ومجدًا وهو لقب "أغسطس" –يعني المهيب أو "المختار بحسن الطالع"– وهو لقب اقتصر استخدامه من قبل على بعض الآلهة، باعتبارها متميزة بالكمال والقدرة على خلق ما هو أكمل وأفضل، وهذا هو أوكتافيوس قد أوجد النظام الأكمل للدولة. وأصبح هذا اللقب اسم يخاطب به أوكتافيوس ويفضله على غيره من الألقاب والأسماء. ونظرًا لشهرته بهذا اللقب أصبح مألوفًا تسميته بأغسطس[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٣-٣٤.

[٢] مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ٨٥.

خامسًا: إصلاحات أغسطس

١. في المجال السياسي

أدرك أغسطس أهمية السناتو بالنسبة لروما فاكتفى بتطهيره من العناصر المندسة فيه والتي تسللت إليه أثناء الحروب الأهلية فأصدر في عام ٢٨ق.م قائمة جديدة لأعضاء مجلس السناتو حذف منها حوالي مائتين عضو، وجاء اسم أغسطس في أعلى القائمة كرئيس للسناتو. كما أمسك أغسطس لعضوية مجلس السناتو وحرص على أن يرشح لها المخلصين من رجاله دون غيرهم، وهكذا دخل الفرسان لأول مرة مجلس السناتو ليصبحوا أعضاءً فيه، وبذلك لم يعد السناتو منغلق على نفسه كما كان في السابق. وبدأ السناتو علي يد أغسطس يتحول إلى محكمة دستورية عليا، يرأس اجتماعاتها القنصلان لمحاكمة مرتكبي المخالفات خاصة الخيانة العظمى. كما أنشأ أغسطس لجنة استشارية سناتورية مكونة من كبار المسئولين ومن القنصلين مضافًا إليهم خمس عشرة سناتورًا يختارون بالقرعة. كما أنه اعتمد على طبقة الفرسان إذ كان في حاجة ماسة إلى مفوضين عسكريين بسلطات خاصة لقيادة الفرق المقيمة في الولايات الرومانية المختلفة، كما عهد إليهم بأعمال الوكلاء الماليين لخبرتهم في مجال المال والاقتصاد[١].

٢. في المجال العسكري

عندما عاد أغسطس من فتوحاته في الشرق في عام ٢٩ق.م، وجد تحت يده جيشًا يكاد يبلغ في تعداده نصف مليون جندي. وأدرك أن العالم قد استسلم تحت قدميه، وليس هناك حاجة إلى هذه الجحافل، وكان عليه أن يُسرح هذا الحشد العسكري، ويحل مشاكله قبل أن

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٦-٤٧.

يبدأ إصلاحات عهد السلام والرفاهية، على أن يحتفظ تحت يده بقوة رادعة لحماية سلطان روما على الولايات. لذا نجد عدد الفرق الرومانية يتناقص إلى أن أصبح ثمان وعشرين فرقة بعد أن كان ستين فرقة. وبعد أن قام أغسطس بتسريحهم كان يقوم بتوطينهم في مستعمرات أو اعادتهم بعد مكافأتهم إلى مواطنهم التي جُندوا منها. وتفاخر أغسطس بأنه وطن جنوده المسرحين في أرض اشتراها من ماله الخاص وليست مصادرة بقوة السلاح(١).

وتخلص أغسطس من نسبة كبيرة من الجند بإقامة المحميات في المناطق الاستراتيجية على طول الإمبراطورية، وأنشأ قاعدتين للأسطول الروماني في كل من ميسينيوم (Misenum) ورافنا (Revenna). كما أنشأ خدمة بريدية على طول الطرق والكباري وعلى الممرات المائية المهمة، لنقل الرسائل ولتحريك القوات العسكرية بسهولة، ولضمان توصيل المؤن والعتاد إليها. وأبقى على نظام التطوع في التجنيد، وأبقى على تكوين الجيش في جزئيه التقليديين وهما: الفرق الرومانية (Legiones)، والقوات المساعدة (Auxilii). وكانت الفرق الرومانية تشمل الجنود الرومان من داخل إيطاليا أو من المقيمين في ولايات الإمبراطورية أو من المناطق التي يُمنح سكانها المواطنة الرومانية. أما القوات المساعدة "الأوكسيليا" فقد كانت تُجند من الشعوب والقبائل غير الرومانية التابعة للإمبراطورية الرومانية –حتى أنه أُطلق عليها جيش الولايات أو جيش سكان الولايات– وطبق عليها أغسطس النظم العسكرية الحديثة فقسمها إلى مشاة وإلى وحدات من الخيالة، كما حدد أغسطس مدة الخدمة في هذه القوات، وحرص على أن يكون ضباطهم من الجيش الروماني. وعند تسريح جنود القوات المساعدة كانوا يُمنحون المواطنة الرومانية لهم ولأسرهم مكافأة لخدمتهم(٢).

(١) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٣–٤٤.

(٢) أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٧– ٤٨.

وأضاف أغسطس إلى الجيش قوة جديدة، هي قوة الحرس البرايتوري، وقسمها إلى تسع وحدات من الخيالة، يتكون كل منها من ألف راكب. وكان جنود الحرس البرايتوري يُختارون من الإيطاليين، ويتقاضون رواتب عالية. وتأتي قوات الحرس البرايتوري أو الحرس الإمبراطوري بعد الفرق الرومانية والقوات المساعدة من حيث العدد والكفاءة القتالية. لكنها أدت دورًا كبيرًا ومهمًا في مجرى الأحداث السياسية التي شهدتها الإمبراطورية. ولما كانت هذه القوات لا تخرج من إيطاليا أو على وجه التحديد من العاصمة فقد كان تأثيرها في السياسة أقوى من القوات النظامية المرابطة في مختلف الولايات البعيدة[١].

وحرص أغسطس دائمًا على إرضاء الجنود اتقاءً لشرهم فأدخل عام ١٣ق.م نظام المكافأة المالية بدلًا من منح الجندي المسرح قطعة أرض، وكان جندي الحرس البرايتوري يتسلم ثلاثة آلاف دينار روماني. كما حدد في العام الخامس الميلادي مدة الخدمة بست عشرة عامًا لجنود الحرس البرايتوري، وعشرين عامًا لجنود الفرق الرومانية، وخمس وعشرين عامًا للقوات المساعدة. وفي عام ٦ ميلادية أنشأ أغسطس الخزانة العسكرية، لكي تتولى دفع الرواتب والمكافآت للجنود[٢].

٣. في المجال الإداري

من إنجازات أغسطس الكبرى تكوين جهاز إداري دائم، ولم تكن فكرة الجهاز الإداري جديدة تمامًا، فمنذ الحرب البونية الثانية كان قد اعتاد حكام الولايات على استخدام العبيد والمحررين من العبيد كمحاسبين ومديري أعمال لهم. وقد كانت هناك حاجة ماسة إلى الجهاز الإداري في روما وذلك من أجل الإشراف على الخدمات الحيوية مثل[٣]:

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٧.

[٢] نفسه، ٤٧– ٤٨.

[٣] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٤٩.

- إمداد روما بالقمح.
- توزيع القمح على المواطنين الرومان
- إمداد روما بالماء ومنع الفيضانات
- أعمال الشرطة والإطفاء
- رصف وصيانة الشوارع والأسواق العامة.

أما عن أهمية الجهاز الإداري في الولايات فكانت ترجع إلى:

- إدارة الممتلكات الخاصة بالإمبراطور.
- جباية الضرائب
- تزويد الجيوش بالإمدادات والتموين
- المنشآت العامة وبريد الإمبراطور

واعتمد أغسطس في جهازه الإداري على أعضاء السناتو وطبقة الفرسان والمحررين من العبيد. وكانت وظائف أعضاء السناتو في الجهاز الإداري: رئيس الشرطة، ومدير هيئة المياه، هيئة منع الفيضانات، هيئة إمداد القمح. أما عن وظائف الفرسان في الجهاز الإداري فكانت: سلك النيابة القضائية، ضباط في الحرس البرايتوري أو في شرطة المدينة أو فرق الإطفاء، مشرفيين ماليين أو مندوبي الإمبراطور في الولايات. أما عن وظائف العبيد المحررين ففي البداية تولوا الأعمال الأكثر تواضعًا ثم تولوا بعد ذلك مناصب ذات ثراء وسلطان ومنها الأعمال الكتابية للمراسلات الإمبراطورية التي أصبحت احتكارًا لهم، كما أصبحوا هم المسئولون عن إدارة الإيرادات والمصروفات في الإمبراطورية، وأصبحوا يقررون ما تنفقه الدولة في المجالات المختلفة، مثل السلاح وقناطر الماء والمعابد والقصور والمباريات والاحتفالات والطرق والكباري والموانئ ورواتب الولاة ورؤساء الإدارات العسكرية والمشرفين الماليين[١].

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥٠-٥١.

٤. في المجال الاجتماعي

كان من الطبيعي أن يتوجه أغسطس إلى حقل الإصلاح الاجتماعي والتقويم الخلقي ليكمل حلقة الإصلاح والبعث الجديد من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن المجتمع الروماني كان في أشد الحاجة إلى مثل هذه الإصلاحات، فقد سقطت القيم إبان الحروب الأهلية، وتخلى الناس عن الأخلاق والمثل. وتفككت الأسرة الرومانية خاصة تلك التي فقدت عائلها، وقل عدد الرجال بينما تزايد عدد النساء مما أدى إلى انتشار الفساد الخلقي[١]. ونستطيع أن نوجز القوانين الخاصة بالإصلاح الاجتماعي والتقويم الخلقي على النحو التالي:

أ- مجموعة قوانين يوليوس الخاصة بالزواج:

لقد شجعت هذه القوانين الشباب على الزواج بإعطاء امتيازات للمتزوجين على حساب العزاب، كما فرضت أعباءً وقيودًا على هؤلاء الأخيرين لتشجيعهم على الزواج. وقد حثت هذه القوانين الشباب على الزواج عند سن معين، وأرغمت الأرامل اللاتي فقدن أزواجهن في سن معين على الزواج مرة أخرى خلال مدة لا تزيد على ثلاثة أعوام؛ وإلا حرموا من حق الإرث ومن حق حضور المهرجانات والألعاب العامة. كما فرضت هذه القوانين عقوبات مشابهة على الذين لا ينجبون. ومن أهم مواد هذه المجموعة قانون حق الأبناء الثلاثة، الذي هدف إلى مكافأة أرباب الأسر الذين أنجبوا ثلاثة أبناء فأكثر فجعلت لهم أولوية الترقي في الوظائف العامة. كما اشتملت أيضًا على قانون يحارب الزنا وخيانة النساء لأزواجهن بأن أيدت حق الأب في أن يقتل ابنته الزانية والرجل الذي ارتكبت معه جريمة الزنا إذا فاجأهما لحظة ارتكاب هذا الإثم، أما بالنسبة للزوج فقد أباح له هذا القانون قتل العشيق فقط[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٠٣.

[٢] نفسه، ١٠٤.

على أية حال كان أغسطس أول من جعل الخيانة الزوجية قضية عامة تمس المجتمع الروماني بصرف النظر عن كونها قضية خاصة، إذ نصت هذه القوانين على إقامة محكمة أحوال شخصية للنظر في قضايا الخيانات الزوجية. وكانت عقوبة الزنا عادةً النفي إلى الجزر الصغيرة البعيدة عن إيطاليا. ومن أهم قوانين هذه المجموعة القانون الخاص بالحد من الاسراف والتبذير ومظاهر البذخ، الذي كان ظاهرة غريبة عند الرومان. لأن الأسر الرومانية التقية الورعة عاشت عيشة بسيطة ومتقشفة، خاصة أن البساطة كانت صفة جوهرية من صفات الروماني القديم التي حاول أغسطس احياءها[١].

ب- قوانين عتق العبيد:

أدرك أغسطس الخطر الذي يحدثه تزايد عدد العتقاء من العبيد ولهذا الغرض أصدر قانونين عام ٢ق.م هما: قانون أيليوس سنتيوس، وقانون فوفيوس كانينيوس، بهدف تقييد عتق العبيد والحد من هذه الظاهرة. وكان القانون الذي استنه أغسطس قبل ذلك عام ١٧ق.م والمعروف باسم قانون يوليوس نوربانوس واضحًا وصريحًا إذ ألغى العتق ما لم تستوفى الإجراءات الخاصة بذلك، والتي كان الرومان يتجاهلونها تهربًا من دفع الرسوم المقررة. وقد نصت مواد هذا القانون على أن الشخص المعتق لا يصح له أن يعتبر نفسه في درجة المواطن الروماني الحر المولد أو حتى في مرتبة المواطن الإيطالي[٢].

٥. في المجال الديني

لقد كان المجتمع الروماني قبل أغسطس مجتمعًا محطما خلقيًا واجتماعيًا، لم يعد يهتم بممارسة الشعائر الدينية التي خلفها له الأولون. حقيقة أن آلهة الرومان القديمة لم تكن قد ماتت تمامًا؛ لكن الظروف الجديدة ساعدت على مولد آلهة جديدة، فقد شهدت هذه الفترة مولد

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٠٤- ١٠٥.
[٢] نفسه، ١٠٦.

"عبادة الدولة" في شخص الربة روما (Roma) وجوبيتر الكابيتولي (Juppiter Capitolinus). ولم يكن هذا الاتجاه الديني جديدًا على الرومان الذين كانت ديانتهم دائمًا وأبدًا تعبيرًا عن القومية والوطنية ورمزًا للقوة والسيطرة. كما تعرضت الآلهة الرومانية القديمة لتيارات قادمة من الشرق، إذ تسللت آلهة جديدة سرعان ما فرضت نفسها على المجتمع الروماني الريفي. وامتزج الدين بالدنيا فظهر نوع جديد من الشعائر والعبادات التي تهدف إلى غرض مادي دنيوي، إذ ازدهرت في هذا الوقت ربة جديدة هي ربة الحظ السعيد فورتونا (Fortuna)، ومركوريوس (هرميس الإغريقي) رب الرخاء والخير، ولاريس ربات وراعيات الأسرة[١].

عندما وجد أغسطس هذه التيارات تجتاح المجتمع الروماني اتجه إلى ميدان البحث والإحياء من التراث القديم. وكانت الخطوة الأولى هي ترميم المعابد والأماكن المقدسة، وإصلاح ما عبثت به الحروب، ونعرف من سجل أعماله أنه رمم ٨٢ معبدًا، بالإضافة إلى المعابد الكبرى مثل معبد جوبيتر الكابيتولي، ومعبد الأم الكبرى. كذلك لم يأل جهدًا في كسب عشاق التيارات الدينية الجديدة وعبادة الآلهة الوافدة من الشرق فأقام المعابد والمحاريب لربات الخير والبركة مثل فورتونا ربة الحظ، وباكس (Pax) ربة السلام ومركوريوس رب الخير الوفير[٢].

كما أنشأ عبادة جديدة هي عبادة الإله يوليوس (يوليوس قيصر) وغذاها بالروايات والأساطير حتى نمت وترعرعت، كما شيد أغسطس لقيصر معبدًا في ساحة المدينة. ولقد كان أغسطس يعلم علم اليقين أن الإله يوليوس قيصر سوف يتحول إلى الإله أغسطس بعد موته، ولهذا الغرض بنى أغسطس لنفسه قبرًا جميلًا في شكل ضريح جميل في ساحة الإله مارس[٣].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥١-٥٢.

[٢] نفسه، ٥٢-٥٣.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٠١.

سادسًا: تنظيم وراثة العرش

أدرك أغسطس أنه بعد موته سوف يحدث تنافس شديد وصراع دموي على العرش الإمبراطوري يعود بروما إلى الأيام السوداء أيام الحروب الأهلية، فحرص على أن يحسم هذا الأمر بنفسه وهو مرتاح الضمير وهادئ البال مطمئنًا على مستقبل الإمبراطورية. وسعى أغسطس إلى اختيار خليفته من بين أسرته، لذا حرص منذ أيامه الأولى على العرش أن يصاهر من ذويه من آل يوليوس قيصر ومن كبار الأسر الرومانية طمعا في أن يُخرج جيلًا يستطيع أن ينتقي منه الخليفة الصالح. ويعتبر النقاد هذا خروجًا على الثورة الرومانية التي كرس حياته من أجلها، والتي عملت على فتح الطريق إلى الحكم لكل قادر عليه بعد المرور في رحلة وظائف طويلة أو ما يسمى "بسلك المناصب". وشاء القدر أن يسخر من حسابات الإمبراطور الدقيقة، فعلى الرغم من اعتلال صحته وشيخوخته إلا أنه كان أطول عمرًا من هؤلاء الشباب الذين اختارهم لخلافته، ورباهم لهذا الغرض. ودفنهم واحد وراء الآخر في حين أنه كان يظن أنهم هم الذين سوف يشيعونه إلى مثواه الأخير[١].

وكان الأشخاص الذين رشحهم أغسطس للحكم واختارهم القدر للقبر هم:

١. ماركوس ماركيللوس (Marcus Marcellus) وأجريبا (Agrippa):

حُرم أغسطس من نعمة إنجاب ولد ذكر يخلفه على العرش، ولم تكن له سوى ابنة واحدة من زوجته الثانية، اسمها جوليا الكبرى. لكن عندما تزوج من ليفيا (Livia) في عام ٣٨ق.م، كانت العروس أم لفتى في الرابعة والعشرين من عمره، كما كانت حاملًا في أشهرها الأخيرة من زوجها الأول إذ وضعت بعد أيام قليلة من زواجها من أغسطس وكان اسم المولود دروسوس (Drusus) ومن الغريب أن أغسطس لم يفكر في بداية الأمر في أي من هؤلاء،

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١١٤.

وتبنى ابن اخته أوكتافيا والذي كان يسمى ماركيللوس، ورعاه وأشرف على تعليمه، بل وزوجه من ابنته جوليا الكبرى (جوليا اللعوب) عام ٣٥ق.م، وكان وقتئذ في الثامنة عشر من عمره. لكن لم يمض وقتًا طويلًا حتى سقط ماركيللوس فريسة لمرض غامض، وهو ما أدى إلى موته. عندئذ لجأ أغسطس بقلب مكلوم إلى أقرب الناس إليه وهو صديقه ورفيق كفاحه الجنرال أجريبا ليكون خليفته، ومن ثم زوجه أرملة ماركيللوس. لكن الآمال انهارت عندما رحل أجريبا فجأة عام ١٣ق.م، وورث أغسطس أجريبا بدلا من أن يرث أجريبا أغسطس. ونقل أغسطس أبناء أجريبا من ابنته جوليا إلى منزله وهم: جايوس قيصر ولوكيوس قيصر وبعد أيام وضعت جوليا طفلًا ذكرًا آخر سمي بأجريبا اليتيم، كذلك كانت جوليا قد أنجبت من أجريبا بنتين هما أجريبينا وجوليا الصغرى[١].

٢. تيبريوس (Tiberius):

بعد موت أجريبا اتجهت أنظار أغسطس إلى ابن زوجته تيبريوس، ومن ثم فقد أرغمه على طلاق زوجته التي كان يحبها وأم ابنه دروسوس الأصغر، الذي سمي على اسم عمه دروسوس، وزوجه من ابنته جوليا. ولم يكن تيبريوس سعيدًا بجوليا ذات السلوك المستهتر والسمعة الملطخة. وقد ضاق تيبريوس ذرعًا بسلوك جوليا ولم يعد يحتمل العيش معها، ومما زاد صدره ضيقًا أنه لاحظ اهتمام الإمبراطور غير العادي بحفيديه لوكيوس قيصر وجايوس قيصر، وهو ما جعله يظن أن زوج أمه يعمل على اعدادهم لخلافته، فانسحب من تلقاء نفسه كنوع من الاحتجاج الهادئ، وأقام في جزيرة رودس وظل معتكفًا هناك من عام ٦ق.م إلى عام ٢م[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١١٤- ١١٦.

[٢] نفسه، ١١٦-١١٧.

٣. جايوس ولوكيوس قيصر:

بعد موت أبيهما أجريبا نقلهما أغسطس على قصره حيث عني بتربيتهما. وعين كل منهما رائدًا للشباب، ووضعا على رأس المرشحين لقائمة الفرسان، كما أعفاهما من المرور بسلك الوظائف الطويل، واستثناهما من شرط السن لكي يمكنهما من الترشيح لوظيفة القنصل وهما في سن العشرين. وفي العام الأول بعد الميلاد أرسل جايوس لقمع بعض أعمال الشعب في أرمينيا، وهناك سقط جريحًا وما لبث أن مات متأثرًا بجراحه في عام أربعة ميلادية. كما أصيب لوكيوس بالحمى وهو عائد من إسبانيا وسرعان ما وافته المنية في العام الخامس الميلادي[١].

العودة مرة أخرى لتيبريوس:

بعد موت لوكيوس وجايوس قيصر أعلن أغسطس عن تبنيه من جديد لتيبريوس بشرط أن يتولى ابن أخيه الملقب "جرمانيكوس" ويعني قاهر الجرمان أي الألمان، وهو ابن دروسوس الأكبر شقيق تيبريوس. وعلى أية حال أنعم الإمبراطور على تيبريوس بعد تبنيه بسلطة التريبونية، كما أشركه معه في القنصلية، ومنحه سلطة الإمبريوم الأعلى. وفي التاسع عشر من شهر أغسطس عام ١٤م مات أغسطس[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١١٧.

[٢] نفسه، ١١٨.

الفصل الثالث

أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية (١٤م- ٦٨م)

أولًا: تيبريوس

ثانيًا: كاليجولا

ثالثًا: كلاوديوس

رابعًا: نيرون

أهداف الفصل الثالث

مات أغسطس عام ١٤م بعد أن اختار ابن زوجته ليفيا التي كانت من أسرة كلاوديوس، وطبقا لتقاليد المصاهرة عند الرومان اقترنت أسرة يوليوس التي ينتمي إليها أغسطس بحكم تبني يوليوس قيصر له، بأسرة كلاوديوس التي انتمى إليها بحكم المصاهرة، ومن ثم أصبح خلفاؤه يعرفون بمصطلح "الأسرة اليوليوكلاودية"، التي تبدأ بحكم تيبريوس (١٤- ٣٧م) وتنتهي بانتحار نيرون عام ٦٨م[١].

أولًا: تيبريوس (١٤- ٣٧م)

تربع على عرش الإمبراطورية بعد وفاة أغسطس ولده بالتبني تيبريوس، وكان في الخامسة والخمسين من عمره. وقد تقلد تيبريوس قبل توليه عرش الإمبراطورية مناصب عامة كثيرة جعلته ذا خبرة واسعة بالحكم والإدارة[٢]. وقد أكدت المواقف أن تيبريوس هو ذلك النمط من الرجال والحاكم الذي كانت الإمبراطورية تحتاجه في ذلك الزمان، على الرغم مما قيل عن شخصه وذكرته تواريخ السير. فقد قال المؤرخ سويتونيوس أن أغسطس عندما كان على سرير المرض، ولم يكن مقتنعًا تمامًا بشخصية خليفته قال –بمجرد خروج تيبريوس من حجرة نومه "مسكين هذا الشعب الروماني، الذي سوف تطحنه ببطئ شديد". لكن على أية حال كان تيبريوس يتمتع بإحساس قوي جدًا بالواجب واستطاع خلال السنوات الأولى من حكمه أن يدعم أركان الإمبراطورية تدعيمًا قويًا في الناحية الاقتصادية والإدارية، التي كان أغسطس قد وضع قواعدها. ولما كانت أعمال تيبريوس لا تصل إلى درجات المجد والعظمة لأنه سار على نهج أغسطس وكفى، ولا يرتفع في إنجازاته قدر علو إنجازات أغسطس فإننا لا نسمع عنه كثيرًا[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، الناس والحياة، ٢٤.

[٢] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، (بغداد، د.ت)، ١٤٦.

[٣] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ١٥٩.

شكل (٥) الإمبراطور تيبريوس (١٤- ٣٧م)

لقد أساءت السلطات الرومانية كثيرًا إلى سمعة تيبريوس بوجه خاص كما لم تفعل مع أي إمبراطور روماني آخر، فنجد سويتونيوس مثلًا قد ذكر عن حياته أشياء كثيرة سيئة للغاية فقد ذكر عنه أنه "كان طاغية بخيلًا منحرفًا سفاكًا للدماء، وكان يعذب خصومه عذابًا رهيبًا ... وكان جشعًا للمال ... وكان قصره يعد بالجواري والسبايا والغلمان وكان شاذًا في علاقته بهم ... وقد قضى أعوامه الأربعة عشر الأخيرة في جزيرة كابري مستمتعًا بالجنس وسفك الدماء؛ لكنه ترك إمبراطوريته مستقرة وموطدة الأركان"، كذلك أضر تاكيتوس بسمعة الإمبراطور تيبريوس. وقد فسر البعض أن ما فعله سويتونيوس وتاكيتوس كان بإيعاز من السناتو، الذي كان يهدف إلى تشويه صورة الإمبراطور تيبريوس، وإشاعة المبررات السيئة وراء كل تصرف لهذا الإمبراطور[١].

[١] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٥-١٦. وللمزيد راجع: إرنست ماسون، الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، ترجمة: جمال السيد، (القاهرة، ١٩٨٥م)، وشاهد الفيديو على الرابط التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=DBhhzBiNby8

١. حياة تيبريوس وصفاته

كان يعرف عن تيبريوس أنه رجل انطوائي، غير محبوب من الجماهير؛ لكنه كان شخصًا قادرًا وكفئًا، إذ قضى عمره وهو يتحمل المهام والمسئوليات. كما أنه ورث من أسرته آل كلاوديوس الأرستقراطية الغطرسة والاعتداد بالنفس، والحزم والكبرياء، وعدم الرغبة في التطور والتجديد. ومن ثم كان تيبريوس رجلًا محافظًا يتمسك بالقديم بشدة كما يظهر من ذوقه وسلوكه وعاداته، حتى في أسلوبه الأدبي وألفاظه اللغوية التي كان يحرص على انتقائها في خطبه، إذ كان يميل إلى الكلمات القديمة الفصحى(١).

لقد كان يعرف تيبريوس أن وصوله إلى الحكم لم يكن إلا صدفة ونتيجة لتدخل القدر؛ لأنه كان أخر من فكر فيه أغسطس، خاصة عندما استمع إلى الفقرة التي جاءت في وصية أغسطس والتي تقول "ما دام الحظ العاثر قد نزع مني ولداي جايوس ولوكيوس قيصر فليصبح تيبريوس قيصر خليفة لي". كما أن الظروف جعلت منه شخصًا ساخطًا على كل شيء، حيث عانى في طفولته وحياته من الإحساس بالظلم. فقد وجد أغسطس يُرغم والده على طلاق والدته وهي في مرحلة متقدمة من الحمل، بل أن ألسنة الناس لم تترك هذا الأمر يمر دون تعليق. ولما وضعت ابنها الثاني دروسوس شك الناس في نسبته إلى زوجها الأول خاصة أن أغسطس دلل هذا المولود الصغير وفضله على تيبريوس، ولم يغفر تيبريوس ذلك لأمه فعندما ماتت رفض السير في جنازتها. وزاد حنق تيبريوس عندما فضل عليه الإمبراطور حفيداه جايوس ولوكيوس. وأخيرًا عندما اختير للخلافة أُرغم على طلاق زوجته التي كان يحبها، ليتزوج ابنة الإمبراطور الخليعة جوليا، ولقد أثر ذلك كثيرًا في نفسه وذكره بما حدث لأبيه عندما أُرغم على طلاق أمه ليفيا، هكذا كان تيبريوس كما سماه بلينيوس الأكبر "أتعس الناس"(٢).

(١) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣٢.
(٢) نفسه، ١٣٢-١٣٣.

٢. علاقته بخليفته وابن أخيه جرمانيكوس

كان أغسطس قد أرغم تيبريوس على تبني جرمانيكوس بن دروسوس شقيق تيبريوس، وكان الإمبراطور أغسطس يحابي جرمانيكوس كما كان يحابي أباه من قبل، بل أنه زوجه من حفيدته أجريبينا الكبرى –ابنة جوليا من أجريبا. وكان من الواضح أن تيبريوس ينوي تنفيذ رغبة أغسطس بإعداد جرمانيكوس للخلافة، وذلك بأن أظهره للناس وحرص على نشر شعبيته بين الجماهير. وكان جرمانيكوس شابًا رياضيًا، ومرحًا ووسيمًا ومعبودًا للجماهير الرومانية، وقيل إنه ورث هذه الشعبية من والده دروسوس. وكان الناس يرون أن جرمانيكوس ديمقراطي التفكير والعقيدة، وكانوا يتلهفون على ارتقائه العرش من أجل إعادة الجمهورية ونظمها الديمقراطية. ولهذا أضحى بطلًا قوميًا وزعيمًا منتظرًا؛ لإنه كان على النقيض تمامًا من عمه تيبريوس، فقد كان محبًا للناس وللظهور. لكنه على أية حال كان يبدي احترامًا ووقارًا كبيرًا إزاء عمه تيبريوس، ورفض التآمر ضده أو منافسته في سلطاته[١].

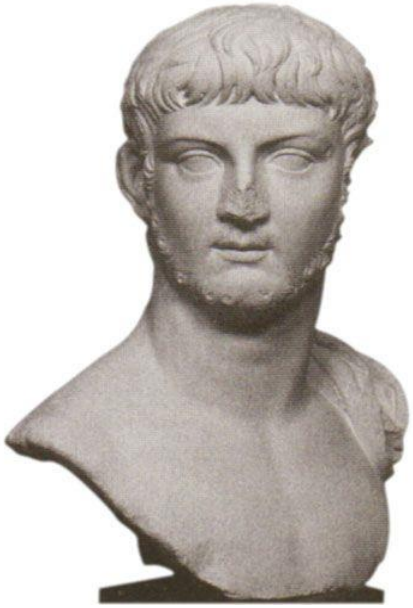

شكل (٦) جرمانيكوس

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣٥–١٣٦. وللمزيد عن حياة جرمانيكوس راجع:
L. Powell, *Germanicus: The Magnificent Life and Mysterious Death of Rome's Most Popular General*, (Barnsley, 2013).

٣. رحلة جرمانيكوس للشرق

رحل جرمانيكوس في مهمة سياسية مع مجموعة من الضباط والمعاونين إلى بلدان الشرق مارًا ببلاد اليونان وآسيا الصغرى، وكان جرمانيكوس ينتهز الفرص لزيارة المعالم الأثرية ويلتقي بالمواطنين الذين استقبلوه بالحفاوة والتكريم، وخلعوا عليه الألقاب المقدسة التي كانوا يخلعونها على ملوكهم في الشرق. وقد قابل جرمانيكوس هذه الحفاوة بأعمال إصلاحية وتنظيمية لصالح شعوب الإمبراطورية. وخلال هذه الرحلة أغمض جرمانيكوس عيناه عن سياسة عمه الإمبراطور ولم يلتزم بها، فمثلًا تعدى جرمانيكوس على القانون الذي أصدره أغسطس بعد فتحه مصر، والذي ينص على تحريم دخول الأشخاص البارزين مصر إلا بقرار من الإمبراطور. لكن جرمانيكوس دخل مصر وكانت الإسكندرية وقتها تعاني من مجاعة وقحط فأمر بفتح الصوامع وتوزيع الغلال على الناس. وقام بعدة أعمال أخرى اثار عواطف الجماهير بها مثل سيره في الطرقات بدون حراسة، وظهوره في الزي الإغريقي، ثم قيامه برحلة نيلية بدأها من كانوب حتى طيبة، ثم سار جنوبًا حتى أسوان[١].

لكن يبدو أن جرمانيكوس أدرك انزعاج عمه واستياءه لما حدث، وهو ما جعله يغادر مصر إلى سوريا، وهناك سقط جرمانيكوس فريسة لمرض غامض أودى بحياته في خريف عام ١٩م، وهو في عامه الثالث والثلاثين. واشاعت أجريبينا زوجة جرمانيكوس أن الإمبراطور هو من كان وراء موته، وأنه حرض والي سوريا بيسو على دس السم له في الطعام. ولم تكتف بذلك بل تحدت الإمبراطور مطالبة بأن تكون الخلافة لأولادها مما ضايق تيبريوس، ومن ثم جر عليها وعلى أولادها حنقه وغضبه[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣٦. وللمزيد عن زيارة جرمانيكوس لمصر راجع: عبداللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ٨١-٧٠.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣٦-١٣٨.

٤. مؤامرة سيانوس

لما كان تيبريوس كثير الشك فيمن حوله، منطويًا على نفسه إلا من قلة نادرة من الأصدقاء وضع ثقته في شخص واحد، هو سيانوس قائد الحرس البرايتوري. بعد موت جرمانيكوس أصبح دروسوس الأصغر ابن تيبريوس هو المرشح للخلافة؛ لكنه سقط هو الآخر فريسة لمرض غامض قضى عليه في عام ٢٣م. لذا كان لزامًا على تيبريوس أن يجد خليفة له من آل بيت أغسطس، فوقع بصره على أكبر أبناء جرمانيكوس الذين أنجبهم من أجريبينا الكبرى وهما نيرون ودروسوس وبالفعل رشحهما للخلافة أمام السناتو؛ لكن سيانوس أفسد هذا الترتيب بدسائسه ومؤامراته. استغل سيانوس موقف أجريبينا أرملة جرمانيكوس المُعادي الإمبراطور، وأقنعه بأن موقف هذه السيدة العدائي يهدد مركزه. ونجح في إقناعه بإعلان أجريبينا وابنها الأكبر نيرون أعداء للدولة، وأمر بنفيهما إلى جزيرة بعيدة. انتحر نيرون عام ٣٠م، بينما ألقت السلطات القبض على أخيه دروسوس بتهمة الخيانة العظمى، أما أجريبينا فقد ظلت في المنفى إلى أن ماتت عام ٣٣م بعد تجويعها حتى الموت. ولم ينج من أولادها سوى جايوس –وهو الإمبراطور جايوس كاليجولا– وأخواته الإناث الثلاثة[١].

كذلك استهدفت مؤامرة سيانوس عددًا كبيرًا من أصدقاء أجريبينا والمتعاطفين معها، فقدم بعضهم للمحاكمة وأعدم وفضل البعض الآخر أن يأخذ حياته بيده. وعلى الرغم من أن تيبريوس لم يكن مسئولًا عن حمامات الدم البارد هذه؛ إلا أنه أغمض عيناه عنها، ولم يحاول أن يوقفها بل توارى عن الأنظار لأن سيانوس أوهمه بأن حياته في خطر، وجعله يعيش في حالة رعب دائمة. ثم أقنعه بالانسحاب إلى جزيرة كابري عام ٢٦م، وقتها خلا الجو لسيانوس ليفعل ما يريد، وأصبح سيانوس هو الحاكم الفعلي. لكن تيبريوس اكتشف مؤامرة سيانوس

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٣٨– ١٤٠.

وأدرك أن الوقت قد حان لتصحيح هذا الخطأ والتخلص من سيانوس، فأصدر أمرًا بنقل جايوس الابن الوحيد من أبناء جرمانيكوس الباقي على قيد الحياة إلى القصر في كابري ورعايته تحت اشراف الإمبراطور شخصيًا، ثم أرسل خطابًا إلى السناتو كشف فيه عن مؤامرة سيانوس وإدانته، وبالفعل حاكم السناتو سيانوس وأمر بإعدامه، بل أُعدمت معه أسرته في نفس اليوم. كل هذه المشاكل والمؤامرات أضعفت من مكانة الإمبراطور العجوز وزادت من شكوكه وانطوائه، وراح يطبق بعنف عقوبة الخيانة العظمى، كما زاد الشقاق بين مجلس السناتو والإمبراطور حيث عاش أعضاؤه في رعب خوفًا من الوشاة والمخبرين. ولم يخف السناتو ارتياحه العميق عندما استقبل خبر موت الإمبراطور تيبريوس في ١٦ مارس عام ٣٧م، بعد بلوغه العام الثامن والسبعين[١].

٥. سياسة تيبريوس الخارجية

لم يشهد عهد تيبريوس أحداثًا مؤثرة لأن الأمور كانت قد استتبت بالفعل في عهد أغسطس، ما عدا تمرد لبعض القوات الرومانية على ضفاف الراين. كما حاول أن يسير على نفس سياسة سلفه أغسطس. كذلك لم يكن تيبريوس من أنصار التوسع، لأنه اعترض على محاولات جرمانيكوس في توسيع حدود الإمبراطورية في ألمانيا. وفي عهده أصبحت كابادوكيا (Cappadocia) (جنوب البحر الأسود) ولاية رومانية بعد موت ملكها أرخيلاوس (Archelaus) في عام ١٧م. وكان عهده بصفة عامة عهد سلام بصرف النظر عن بعض الثورات في بلاد الغال عام ٢١م، وفي نوميديا (الجزائر) استمرت من ١٧-٢٤م، والخلافات التي حدثت بين روما والبارثيين، والتي تم حلها بالطرق الدبلوماسية[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٠-١٤١، محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٦٢.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٢.

٦. أعماله الداخلية

كان تيبريوس أرستقراطيًا محافظًا عرف بنضجه السياسي وتقديره للواجب ومحافظته على القانون. منع بناء المعابد وإقامة التماثيل له، ورفض تسمية شهر باسمه. وفي الناحية المالية اتبع تيبريوس سياسة عادلة في فرض الضرائب، وأخذ الاحتياطات لمنع زيادة أسعار القمح في أوقات الأزمات، وظلت مخازن روما طوال عهده مليئة بالقمح. لم ينفق على بناء المعابد، ولم ينسب إليه سوى إقامة معبد أغسطس، وإصلاح مسرح بومبيوس. وشكل هيئة من أكابر النبلاء للعناية بطقس المؤله أغسطس– عرفت بهيئة "الأغسطاليس". اهتم بإيطاليا وجعل طرقها آمنة بوضعه نقاط حراسة في أرجاءها كافة. وشجع الزراعة وقدم خلال أزمة سنة ٣٣م قروضًا للمحتاجين يدفعونها خلال ثلاث سنوات دون فائدة. كثر الوشاة والمخبرون في عهده، حيث صارت لهم حصة من مبلغ الغرامات والمصادرات، وهو ما أثار الرعب بين الناس الذين صاروا يخشون حتى أفراد أسرتهم. كل هذه الأمور لطخت سمعة تيبريوس ونعته المؤرخون بالظلم والقسوة غير المتناهية[١].

كان تيبريوس شحيحًا إذ خفض النفقات العامة التي كانت تخصص للإنفاق على التسلية والمهرجانات الرياضية، والتي اعتاد الشعب الروماني عليها. كما كان حريصًا في منح الهبات العامة، مما جعله غير محبوب من الناس في عصر كانت فيه شعبية الحاكم تقاس بمدي انفاقاته العامة. وكان نتيجة لسياسة الحرص المالي هذه أن تراكمت المدخرات في الخزانة العامة. ولم يكن تيبريوس على وفاق مع السناتو على عكس أغسطس، حيث كان يهاجم السناتو علنًا ورفض في بعض الأحيان أن يجتمع به، كما أن غموض الإمبراطور وكراهيته للتملق بث الرعب والخوف في قلوب بعض زعماء السناتو[٢].

---

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٤٨–١٤٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٣.

ثانيًا: جايوس كاليجولا (٣٧-٤١م)

جاء بعد تيبريوس حفيده بالتبني والابن الثالث لجرمانيكوس من أجريبينا، الذي اشتهر منذ صغره باسم كاليجولا (Caligula) ومعناه "الحذاء العسكري الصغير"، لأنه كان يصاحب والده ويرتدي الزي العسكري منذ صغره. كان تيبريوس قد أوصى بتقسيم ممتلكاته بين جايوس كاليجولا وحفيده الصغير تيبريوس جيميللوس (Tiberius Gemellus). لكنه لم يوصي رسميًا بالخلافة من بعده، وعند موته أيد ماكرو (Macro) قائد الحرس البرايتوري ترشيح جايوس فاستجاب السناتو لذلك. وكان جايوس عند اعتلائه العرش في الخامسة والعشرين من عمره. وقد رفض السناتو في أول اجتماع له اعتبار تيبريوس إلهًا، ودفن رماد جثته بعد حرقها في مقبرة أغسطس الملكية[١]. لقد تأكد بداية من هذه الحادثة أن قيادات الحرس البرايتوري هم صناع الأباطرة على عرش روما، فبمجرد أن أيد ماكرو اختيار جايوس للحكم، نجد السناتو يستجيب لذلك ويعلن جايوس إمبراطورًا[٢].

شكل (٧) الإمبراطور جايوس كاليجولا (٣٧- ٤١م)

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٥١.

[٢] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٦٤.

١. أعماله الداخلية

ساد الفرح والرضا الناس بعد اختيار جايوس، وبدأ جايوس عهدًا جديدًا. فقد أطلق سراح المسجونين السياسيين، وألغى نظام الوشاة والمخبرين. وخفض الضرائب على كاهل الناس، وزاد اعتمادات النفقات العامة. وأعلن تبنيه لحفيد تيبريوس، وأخرج عمه كلاوديوس من اعتكافه في مزرعته وجعله قنصلًا شريكًا له في الحكم. كما أبدى كاليجولا روحًا عصرية وتقدمية في حبه للمسرح والرياضة والمهرجانات بعكس تيبريوس تمامًا. ومن ثم كان جايوس معبود السناتو والجيش والجماهير الرومانية في الفترة المبكرة من حكمه. لكن هذا السرور لم يدم طويلًا؛ لأن جايوس كان ضعيف البنية مختل الشعور، كما أن تيبريوس لم يدربه على إدارة شئون الإمبراطورية، إذ قضى وقته حبيس القصر في جزيرة كابري. كما أن الفتى عانى من الرعب حيث شاهد أمه وأخويه وهما يسقطان ضحية لمؤامرة سيانوس، بل إنه ظل لفترة ينتظر حتفه. وفجأة تغير الموقف من النقيض للنقيض، عندما وجد جايوس المضطهد نفسه إمبراطورًا. وكان لكل هذا تأثير كبير على اهتزاز شخصيته[١].

لم يكد يمضي على تولي كاليجولا العرش ستة أشهر حتى داهمه مرض شديد أثر على قواه العقلية والنفسية، وعندما نهض منه ظهرت عليه علامات الجنون. وراح يدعوا الناس لعبادته جهرًا، وأعلن تأليه شقيقته وأساء معاملة عمه كلاوديوس. بل أُتهم بأنه حاول تقليد ملوك البطالمة في شروعه الزواج من شقيقته. كما راح يدعو لفكرة الحكم المطلق، وطالب أن يُلقب بالمولى أو السيد. كما انقلب على أغنياء وكبار الموظفين لأن سياسة البذخ والاسراف التي اتبعها أفلست الخزانة وسرعان ما جعلته في حاجة إلى الأموال، ومن ثم استخدم المخبرين لمعرفة أسماء الأغنياء والموسرين، لكي يصادر أموالهم وضياعهم. وأكثر من هذا طلب من

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٤– ١٤٦.

المخبرين التبليغ عن كل من عادى يومًا ما أمه واخوته أو تعاون مع سيانوس. وسرعان ما دبر اغتيال جيميللوس حفيد تيبريوس، وأشيع انه عاشر أخته دروسيللا (Drusilla) معاشرة الأزواج، ولما ماتت أمر برفعها إلى مصاف الآلهة. وبلغ به احتقار الناس أنه عين حصانه نبيلًا وكان ينوي تعيينه قنصلًا شريكًا له في الحكم(١).

إلا إنه على الجانب الآخر قام بتنفيذ عدد من المشروعات المهمة، حيث قام بإصلاح الطرق المهمة في إسبانيا، وبنى فنارًا في بولونيا لإرشاد السفن القادمة من بريطانيا، وشرع في بناء جسرين لنقل المياه في روما. كما نجده يعاقب مقاولي إنشاء الطرق من الإيطاليين ممن فشلوا في تنفيذ عقودهم على الوجه الأكمل(٢).

٢. سياسته الخارجية

قاد جايوس سنة ٣٩م حملة إلى الراين، لإخماد ثورة للقبائل الألمانية، ربما كسب فيها نصرًا جزئيًا. أنشاء العديد من الولايات والممالك في تراقيا وأرمينيا ليعين عليها أصدقائه وعين صديقه اليهودي هيروديس أجريبا (Herodes Agrippa) ملكًا على يهوذا. قتل بطلميوس الملك التابع لروما في موريتانيا وأدمج مملكته في ولاية أفريقيا. أدى إصراره على إلزام الشعوب في الإمبراطورية على اعتباره إلهًا في صورة بشر إلى نشوب خلاف بينه وبين اليهود، الذين كانوا قد أعفوا من هذا الإلزام. فقد حاول جايوس إجبار الجالية اليهودية في القدس والإسكندرية على وضع تماثيل له في معابدهم. نتيجة لهذه التصرفات التعسفية قُتل جايوس كاليجولا على يد الحرس البرايتوري، دون أن يوصي بالخلافة من بعده، فاختار الحرس البرايتوري عمه كلاوديوس بن دروسوس، الذي وجدوه متخفيًا في القصر فنصبوه إمبراطورًا(٣).

---

(١) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٦- ١٤٧.

(٢) أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥٦.

(٣) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٥٢- ١٥٣، أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية، ٥٦-٥٧.

ثالثًا: كلاوديوس (٤١- ٥٤م)

كان كلاوديوس (Claudius) عم الإمبراطور الراحل، مضحكة القصر وموضع احتقار كاليجولا –فقد كان يتلعثم في الكلام ويهز رأسه ويسيل من فمه اللعاب. وقد أمسك به أحد حراس القصر ويدعى جراتوس (Gratus) من خلف الستائر من داخل غرفة الجريمة عند مقتل الإمبراطور السابق. ولحظة الإمساك به أخذ يتهته خوفًا على حياته، فقد رأى بعينيه مشهد قتل كاليجولا. مرت لحظات تبادلت مجموعة الحرس البرايتوري فيها النظرات، وفاجأ أحدهم الجميع عندما توجه إلى كلاوديوس حاملًا إياه على أكتافه وهاتفًا بحياته إمبراطورًا جديدًا لروما خلفًا للإمبراطور كاليجولا. وكان كلاوديوس عند توليه عرش الإمبراطورية قد جاوز الخمسين من عمره[١].

شكل (٨) الإمبراطور كلاوديوس (٤١- ٥٤م)

[١] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٦٦، للمزيد عن كلاوديوس شاهد الفيديو التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=khD-Zwsim0w

١. حياة كلاوديوس وصفاته

كان كلاوديوس يؤثر العزلة، ويبتعد عن الظهور بسبب مظهره المترهل نتيجة لعاهة أصابته أثناء طفولته، ويقال إنه كان يعاني من جراء شلل خفيف. لكنه كان ثرثارًا متحذلقًا على الرغم من إنه كان يتلعثم ويخرج الكلمات بصعوبة من فمه. أغرق نفسه في عالم البحث والأدب وفقه اللغة اللاتينية. وكان كلاوديوس قد تلقى تعليمه على يد المؤرخ الروماني تاكيتوس، وكانت له دراسات في سير العظماء وفي الآثار والتاريخ. ومن أشهر أبحاثه التاريخية بحث عن أغسطس، وعن تاريخ قرطاجة، ودولة الأتروسكيين. وبذلك كانت له خلفية ثقافية واجتماعية جعلته متفهمًا للسياسة والحكم. وعلى الجانب الآخر كان كلاوديوس أكولًا محبًا للشراب، ومتيمًا بالمراهنات ولعب النرد، حتى إنه ألف فيها كتابًا. كما كان محبًا لمشاهدة المباريات الدامية، ويطيل التأمل في وجه القتلى من المتبارزين وهم يلفظون أنفاسهم[١].

ويعتقد الأستاذ الدكتور سيد الناصري أن سينكا وتاكيتوس بالغا في وصف كلاوديوس بالغباء، ويرى أنه كان يتغابى ولم يكن غبيًا، وذلك لأنه ظهر في كثير من المناسبات دبلوماسيًا ماهرًا. ولكن طيبة قلبه هي التي جعلته يتساهل في بعض الجوانب خاصة مع زوجاته وأصدقائه وموظفيه وعتقائه. لقد كان كلاوديوس أخر من يحلم بالعرش إذ ابتعد كلية عن المناصب اللهم إلا من وظيفة القنصل، التي وضعه فيها ابن أخيه. كما كان الشعب الروماني لا يتوقع مطلقًا أن يصبح العم الأعرج المترهل كلاوديوس إمبراطورًا. لكن ثبت ان كلاوديوس أعظم الأباطرة الذين حكموا روما. فبسياسته ومثاليته وحسه المتواصل على الكفاءة والعمل وأداء الواجب جعله يفوق سابقيه قدرة على الحكم. بل أن بعض المؤرخين شبهوه بروح يوليوس قيصر الرائدة وبكفاءته النادرة[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٥١.

[٢] نفسه، ١٥١-١٥٢.

٢. سياسته الداخلية

أظهر الإمبراطور كلاوديوس احترامه وتبجيله للسناتو، وفعل كل ما في وسعه ليجعله يشارك فعليًا في الحكم. لكن ذلك لم يمنع سوء التفاهم بين السناتو والإمبراطور. فقد غضب رجال السناتو من اتجاه الإمبراطور إلى الاعتماد على العبيد والعتقاء والاستفادة بهم في تسيير شئون الإمبراطورية. وملأ بهم مرافقها الإدارية والقضائية، بل أعطاهم سلطة مطلقة وجعل اتصالهم به مباشرًا، ولم يخل الأمر من اصطدام هؤلاء العتقاء بمصالح بعض رجال السناتو. وساءهم أن يروا رجالًا من أصول اجتماعية وضيعة وفاسدة يدبرون أمورًا مهمة فوق هاماتهم. كذلك أوقف كلاوديوس المهازل التي كانت ترتكب ضد المواطنين الأبرياء باسم قانون الخيانة العظمى، وحد من نفوذ المخبرين. وعلى الرغم من هذا اضطر الإمبراطور إلى إعدام عدد من رجال السناتو، وقيل إنهم خمس وثلاثين عضوًا، بالإضافة إلى بضع مئات من رجال طبقة الفرسان، بسبب تآمرهم ضده. كما راح عدد آخر نتيجة للمكائد التي حاكتها زوجتا الإمبراطور وهما ميساليا (Messalina) وأجريبينا الصغرى (Agrippina)[١].

وقع كلاوديوس تحت تأثير زوجاته ومعتوقيه الذين صاروا يتدخلون في شئون الدولة، ويبيعون المناصب ويصادرون أملاك من يمقتون. وكان تأثير زوجته ميساليا أم ولده بريتانيكوس (Britannicus) في بداية حكمه كبيرًا، إذ قتلت كل من اعتقدت بوقوفه في وجهها. واشتهرت بالخلاعة، فكانت لها علاقة غرامية بالنبيل الثري سيليوس، وقيل إنها حرضته على قتل زوجها الإمبراطور، لكن الأمر كُشف وأمر الإمبراطور بقتلهما. وفي السنوات الست الأخيرة من حكم كلاوديوس وقع تحت نفوذ زوجته الرابعة أجريبينا الصغرى، وهي أم نيرون وأكبر بنات شقيقه جرمانيكوس من أجريبينا الكبرى. شاركت أجريبينا الإمبراطور في السلطة وجلست

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٥٢– ١٥٣.

معه على العرش. وفي عام ٥٠م أقنعت أجريبينا الإمبراطور على تبني ابنها نيرون من زوجها الأول. وبالفعل تبنى كلاوديوس نيرون ومنحه لقب أمير الشباب وهو في سن الثالثة عشر، وزوجه من ابنته أوكتافيا من زوجته ميساليا. ومات كلاوديوس فجأة وهو في الرابعة والستين من عمره، وقيل إن أجريبينا قد دست له السم، وجعله مجلس الشيوخ بعد موته إلهًا[١].

شكل (٩) أجريبينا الصغرى الزوجة الرابعة لكلاوديوس ووالدة نيرون[٢]

ومن أهم الإصلاحات في عهده هو تطويره لوظائف الأمناء التي أوجدها أغسطس وحولها إلى دواوين لها اختصاصاتها وجعل لها رؤساء، هم نخبة رجال الإمبراطور من العتقاء من أمثال باللاس (Pallas) رئيس ديوان النفقات، ونارکيسوس (Narcissus) رئيس ديوان المراسلات. وكان مديرو الدواوين من العتقاء رجال ذوي نفوذ قوي على الإمبراطور، وبالتالي أصبح لهم تأثير كبير في رسم السياسة العامة للإمبراطورية. وهؤلاء العتقاء مهما كانت

---

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٥٦-١٥٧.

[٢] للمزيد عن أجريبينا الصغرى راجع: A. A. Barrett, *Agrippina: Sister of Caligula, Wife of Claudius, Mother of Nero*, (London, 1996).

كفاءتهم، فقد كانت تنقصهم الخلفية المثالية والأخلاق التي كان يتميز بها الأرستقراطي الروماني، ومن ثم فقد استغل كثير من هؤلاء الرجال مناصبهم في جمع الثروات الطائلة عن طريق الرشاوي والوساطة والمحاباة. كما بدأ كلاوديوس عهده بحركة واسعة للإنشاء والتعمير، فأكمل جسور مجاري المياه التي كان ابن أخيه كاليجولا قد شرع فيها، ورمم القديم منها[١]. وشيد ميناء أوستيا (Ostia)، كما قام بتسهيل إجراءات تفريغ ودخول البضائع إلى روما، وشجع أصحاب السفن على الدخول في تعاقدات لنقل الغلال من الميناء إلى العاصمة، وأعطاهم امتيازات عدة مقابل ذلك. وحرص كذلك على تسهيل توصيل القمح الرخيص على عامة الشعب الروماني، وكان ذلك يتم تحت إشراف الإمبراطور شخصيًا[٢].

٣. سياسته الخارجية

كانت سياسته الخارجية سياسة توسعية، أشبه بسياسة يوليوس قيصر الطموحة والتوسعية، فقد ضم بريطانيا عام ٤٣م وأنشأ فيها معبدًا لروما وأغسطس، وقضى على حركة التمرد في موريتانيا عام ٤٤م وقسمها إلى ولايتين إمبراطوريتين، وفي عام٤٦م أبقى على وضع الولايات الصديقة مثل ولاية تراقيا شمال بلاد اليونان ثم حولها إلى ولاية رومانية بعد موت ملكها. كذلك أقام كلاوديوس علاقات مع ممالك البحر الأسود وقام بتطهيره من القراصنة، بهدف تحقيق أكبر قدر من الطمأنينة والأمان لقوافل التجارة البحرية، كما كان يهدف إلى تحويل البحر الأسود إلى بحيرة رومانية. كما تساهل في منح المواطنة الرومانية لشعوب الولايات خاصة شعوب الغال، وقد عين بعض زعمائهم بالفعل في مجلس السناتو[٣].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥٦، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٥٣.

[٢] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٦٩.

[٣] نفسه، ١٦٩– ١٧٠. وللمزيد عن كلاوديوس وإنجازاته راجع:

A. Momigliano, *Claudius, the Emperor and His Achievement*, (New York, 1961)

رابعًا: نيرون (٥٤- ٦٨م)

تولى نيرون الحكم بعد موت كلاوديوس مسمومًا وأصبح يسمى نيرون كلاوديوس قيصر، ووعد الحرس البرايتوري بمكافأة ضخمة. كان محبًا للفنون وتلميذًا للفيلسوف والأديب الروماني سينيكا (Seneca). وقد مارس نيرون حياة اللهو والبذخ الخرافي الذي نتج عنه إفلاس الخزينة العامة، وبالتالي اضطر إلى تخفيض قيمة العملة الرومانية، ثم لجأ إلى مصادرة الأملاك من أجل تعويض هذا الإفلاس. وكان منبع جنون نيرون ولعه الشديد بالثقافة والفن الإغريقي، إذ تمنى أن ينقل بلاد اليونان وحضارتها والإسكندرية وفنونها ومؤسساتها إلى روما[١]. كان نيرون عندما تولى الحكم في السادسة عشر من عمره، وكان شابًا عنيفًا، يتدفق بالصحة والحيوية، وتجري في عروقه أرستقراطية نبيلة[٢].

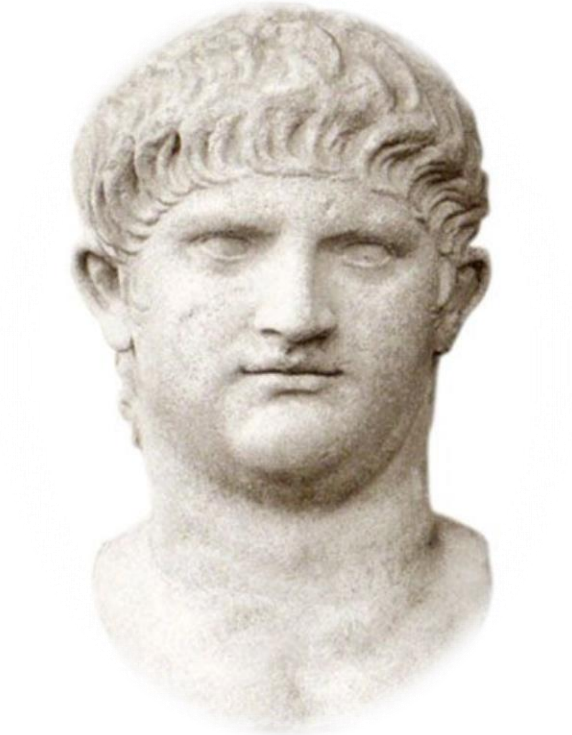

شكل (١٠) الإمبراطور نيرون (٥٤- ٦٨م)

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٥٩، وللمزيد عن نيرون شاهد الفيديو التالي:

١. حياة نيرون وحكمه

انقاد الإمبراطور الشاب في بداية حكمه إلى أمه وإلى معلمه الأديب والفيلسوف سينيكا، وإلى قائد الحرس البرايتوري بوروس (Burrus)، وخلال خمس سنوات شكلت هذه الشخصيات الهيئة الحاكمة. وعلى الرغم من أنها كانت تحكم بالسلطة المطلقة؛ إلا إنها اتبعت خطًا معقولًا يحكم لصالح خير الإمبراطورية. وأحس الناس بثمار هذه السياسة الحكيمة فهللوا أن عهدًا ذهبيًا من العدل والسلام قد بزغ فجره. وللأسف لم يدم طويلًا بسبب تدخل أجريبينا ورغبتها في فرض سيطرتها على ابنها، كما كانت تفعل مع زوجها من قبل، وأن تكون هي الرأس الأكبر في الحكم. فتصدى لها الفيلسوف سينيكا وقائد الحرس بوروس، كما عارضها نيرون نفسه. وكانت وجهة نظرهم هي عدم استساغة حكم المرأة، ويبدو أن بوروس وسينيكا كانا يفكران في إنشاء حكومة تقوم على التراث الجمهوري القديم. ولما نشب الصراع بين المستشارين والإمبراطورة الأم، حاول كل فريق كسب الإمبراطور إلى جواره، بإغرائه بالعروض المسرحية وحفلات الموسيقى، وتباروا في المبالغة فيما قدموه للإمبراطور، الذي كان يعشق حياة الصخب واللذة، وكانت النتيجة أن جروا عليهم وعلى الإمبراطور الدمار[١].

لم يمض وقت طويل حتى بدأ الإمبراطور يتخلص من الدائرة التي فرضت نفسها عليه، ففي عام ٥٥م دبر مقتل بريتانيكوس بن كلاوديوس حتى لا ينازعه في المطالبة بالعرش. وفي عام ٥٩م دبر لمصرع أمه، حيث ألغى حراستها وحاول إغراقها في سفينة أنزلها في خليج نابولي صُممت لتغرق حال ملامستها للماء، وعندما فشلت المحاولة بعث شخص يدعى أنكيتوس دخل عليها في بيتها وقتلها، وكان لعشيقته بوبايا سابينا (Poppaea Sabina) ضلع في تحريضه على قتلها –كانت بوبايا زوجة رجل من الأشرف يدعى ماركوس سالفيوس أوتو

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٥٩–١٦١.

(Marcus Salvius Otho) هام بها نيرون حبًا- وما أن تخلص نيرون من أمه حتى طلق زوجته الشرعية أوكتافيا وتزوج من رسميًا من بوبايا سابينا، ولم يترك أوكتافيا وشأنها بل نفاها فيما بعد ثم تخلص منها للأبد عام ٦٤م[١]. كما مات بوروس عام ٦٢م، وتقاعس سينيكا عن مساعدة الإمبراطور، عندما أدرك استحالة الاستمرار معه. وبذلك تكون قد انزاحت من أمام نيرون كل المعوقات وبدأ يتصرف وفق هواه[٢].

ولما وجد نيرون أن مشروعاته الخيالية وبذخه الخرافي قد أفلس الخزانة العامة، لدرجة أنه اضطر إلى خفض قيمة العملة لأول مرة وكان تصرفًا معقولًا من الناحية الاقتصادية، وتحت إلحاح الحاجة إلى الأموال لجأ نيرون إلى عمليات المصادرة حتى أصبح التحكم المالي في يد الإمبراطور، حتى الخزانة العامة التي كانت تحت إشراف السناتو أصبحت تحت إشراف مسئول من الحرس البرايتوري. وكلما ازدادت حاجة الإمبراطور إلى الأموال لتحقيق أوهامه وأحلامه الخيالية، كلما لجأ إلى الطرق غير الأخلاقية مثل إلصاق تهمة الخيانة العظمى ببعض الأغنياء لمصادرة أموالهم. كما كان نيرون يعتقد أنه فنان موهوب لا يجاريه في عبقريته أحد، فراح يتدرب على الغناء. وفي عام ٦٥م ظهر نيرون على المسرح الروماني كمغني وموسيقي يعزف ألحانًا ربانية على قيثارته الذهبية، مما جر عليه استياء الارستقراطية الرومانية، فانفضت عنه وبالتالي زادت جرائم نيرون نحوهم. ولم يقتنع نيرون بموهبته في روما بل أصر على عرض فنونه في المباريات الأوليمبية الإغريقية. وقد أسفر اشتراكه في المباريات الأوليمبية عن تتويجه ألفًا وثمانمائة مرة، أي في كافة المباريات التي اشترك فيها، على الرغم من أنه سقط ذات مرة على الأرض أثناء سباق العربات[٣].

---

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٥٨، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦١-١٦٢.

[٢] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٧٤.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٢-١٦٣.

٢. حريق روما واضطهاد المسيحيين

في عام ٦٤م شب في روما حريق مروع استمر ستة أيام، وأتى على شطر كبير من المدينة مسببًا كارثة قومية كبرى. بدأ الحريق في حي ماكسيموس بالقرب من تل البلاتين، وامتدت ألسنة النيران إلى المنطقة التجارية ذات الحوانيت المكدسة بالمواد، فضلًا عن شدة الرياح، مما زاد من انتشار الحريق ليشمل المناطق الواقعة في أعلى التلال والمنازل والمباني الواقعة في أسفلها في نفس الوقت، وفشلت كل الجهود للقضاء عليه. أحدث الحريق رعبًا وهلعًا بين النساء والأطفال فهرعوا من ديارهم يحملون ما يستطيعون من متاع، لكن النيران حاصرتهم من كل جانب، فهلك عدد كبير منهم[١].

كان نيرون وقت الحريق في ضاحية أنتيوم (Antium) خارج روما، ويقال إنه تلاكئ ولم يحثه شيء على العودة سوى أن النيران باتت تهدد قصره الجديد الذي بناه ليربط بين تل البلاتين وحدائق مايكيناس، وبالفعل عندما عاد وجد النيران قد أتت على هذا القصر. وأبدى الإمبراطور اهتمامًا في تخفيف آلام الناس، ففتح حدائقه الخاصة لهم، وبنى لهم أكواخًا مؤقته، ووزع عليهم الأغطية والقمح. لكن هذه الأعمال الخيرية قوبلت بالجحود والنكران، لأن شائعة سرت بين الناس أن الإمبراطور عندما عاد اندفع إلى قاعة الغناء الخاصة في القصر ليمسك بقيثارته ويغني أغنية حزينة عن "احتراق طروادة"، لأن الكارثة ذكرته بكارثة طروادة كما رواها شعراء الملاحم الإغريق[٢].

على أية حال لم تتوقف النيران سوى في اليوم السادس؛ لكن سرعان ما شب حريق جديد في حي ايمليانوس بطرف المدينة، وقد اتهم الناس الإمبراطور بأنه المدبر لهذا الحريق،

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٣-١٦٤.

[٢] نفسه، ١٦٤.

وبأنه أوعز إلى عبيده بإشعاله للتخلص من بعض الأحياء القذرة التي لم تصل إليها النيران في الحريق الأول، وحتى يعيد بناء المدينة من جديد. والحق يقال لم يخف نيرون ارتياحه لاختفاء الأحياء القذرة. وأعلن عن مشروعه الخرافي في استغلال الأرض الخالية في بناء عدد من القصور والحدائق الغناء المزينة بالبحيرات الصناعية. وبالفعل بنى نيرون قصره الكبير المعروف "بالبيت الذهبي"، وأقام في حديقته تماثيله الكثيرة التي كان من بينها تمثال عملاق بلغ مائة وعشرين قدمًا، بالإضافة إلى روائع النحت الإغريقي التي جلبها الإمبراطور معه من بلاد الإغريق. ولقد بلغ من فظاعة الحريق أنه لم يسلم من أحياء المدينة الأربعة عشر سوى أربعة أحياء، ويقول المؤرخ تاكيتوس أنه من الصعب حصر المباني والمرافق والمعابد التي أتت عليها النيران؛ لكن المدينة خسرت بالطبع كنوزًا من التراث والعمران كالمسارح والمكتبات والمعابد وغيرها[١].

يذكر كافة المؤرخين –عدا تاكيتوس– أن نيرون هو الذي بدأ الحريق؛ لكن ليس هناك أي دليل يثبت قيام نيرون بذلك. وفي الوقت الذي يؤكد فيه المؤرخين مراقبة نيرون للحريق وهو يغني أغنية حريق طروادة، يذكر تاكيتوس هرعه لإخماد النيران ومساعدة المتضررين وفتح المباني العامة لإيواء الذين فقدوا بيوتهم، وجمعه التبرعات لهم، وتخفيضه أسعار القمح[٢]. ولا يوجد أي دليل مادي على أن نيرون هو من أشعل الحريق؛ لكن يبدو أن الإمبراطور هو الذي أوعز بالفعل إلى عبيده بإشعال الحريق الثاني[٣].

ولما كانت خسائر الحريق مروعة فقد بحث الرأي العام في روما عن كبش فداء، واستغل مستشارو الإمبراطور ذلك باتهام المسيحيين بإشعال هذا الحريق، لأنهم كانوا يعلمون

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٤.

[٢] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٥٩.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٥.

مدى كراهية الشعب الروماني لهم. ويرى البعض أن اليهود كانوا وراء إلصاق هذه التهمة بالمسيحيين خاصة وأنه كان لليهود تأثير على زوجة الإمبراطور بوبايا سابينا. وقُدم المئات من المسيحيين الرومان إلى المحاكمة بتهمة "الإتيان بأفعال فوضوية"، وأُعدم الكثير منهم، وكانت هذه بداية اضطهاد الرومان للمسيحيين. ولهذا عُرف نيرون بالطاغية المعادي للسيد المسيح عليه السلام، ورفيق الشيطان[١].

٣. مؤامرة بيسو (Piso) عام ٦٥م

في عام ٦٥م تزعم أحد رجال السناتو ويدعى بيسو مؤامرة ضد الإمبراطور نيرون؛ لكن انكشف أمره هو وأعوانه، وكان مصيرهم الإعدام مثل كثيرين آخرين لاعتراضهم على الإرهاب الإمبراطوري. عندئذ تدهورت سمعة الإمبراطور تدهورًا واضحًا في روما ولا سيما عندما ظهر على المسرح ليقدم أولى أعماله الفنية في نفس العام، وكانت هذه الفضيحة للإمبراطور والتي صعق لهولها رجال السناتو المحافظين، هي المحرك الأول لمؤامرة بيسو[٢].

٤. سياسة نيرون الخارجية

شهد حكم نيرون تدهور في إدارة الولايات الرومانية، فلم يهتم نيرون بأي شعب تابع له سوى الإغريق، الذي كان متيمًا بحبه وخاصة إغريق مدينة الإسكندرية. وبسبب هذه السياسة اندلعت حركات التمرد والثورات ضد الرومان خاصة وأن هذا الإمبراطور أعفي بلاد اليونان من ضريبة الرأس. ومن الثورات التي قامت ضد الرومان في عهد نيرون[٣]:

- ثورة بريطانيا عام ٦١م بزعامة ملكة الإيكينين (Iceni) المسماة بوديكا (Boudicca).
- اندلعت في الشرق في مملكة أرمينيا الصراعات بين روما والبارثيين

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٥.

[٢] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٧٥.

[٣] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٠.

- حدثت ثورة في فلسطين عام ٦٦م بسبب سياسة الإمبراطور الفاشلة، وجهل موظفيه، وقسوة قواته، وجشع جامعي الضرائب.
- حدثت ثورة في بلاد الغال بزعامة شخص يدعى فيندكس (Vindex) التي انتهت بمقتل نيرون لتنتهي بذلك الأسرة اليوليوكلاودية.

٥. ثورة فيندكس وسقوط نيرون عام ٦٨م

اندلعت حركة تمرد كبرى ضد نيرون في بلاد الغال يتزعمها شخص يدعى جوليوس فيندكس (Julius Vindex) أو "جوليوس المخلص"، وسرعان ما أيد هذه الثورة حاكم آخر يدعى سولبيكوس جالبا (Sulpicius Galba) حاكم ولاية إسبانيا، ثم انضم إلى جالبا صديقه أوتو حاكم لوسيتانيا (Lusitania) وزوج بوبايا سابينا السابق. لكن القوات الرومانية المرابطة عند الراين بقيادة فيرجينيوس (Verginius) عارضت هذه الثورة، وأعلنت أنه من حق السناتو فقط أن يعين الإمبراطور وليس الجيش. واعتبر فيرجينيوس أن حركة التمرد حركة قومية غالية ومن ثم قضى عليها وقتل فيندكس. ولما هتفت القوات الرومانية به إمبراطورًا رفض قبول ذلك، بل أعلن أنه يضع نفسه في خدمة السناتو. ولما وصلت هذه الأنباء إلى السناتو ازدادت ثقته بنفسه، وبعد أن أدرك انهيار الإمبراطور نتيجة لهلعه وجبنه ورعونته في مواجهة مثل هذه الثورة، عندئذ أعلن السناتو أن الإمبراطور عدو للشعب الروماني. عندها انهار نيرون خاصة بعد أن أعلن الحرس البرايتوري ولائه للثائر جالبا، وهرب نيرون مع عدد من رجاله المخلصين. وبعد أن وقف نيرون يندب العالم لفقدانه عبقري وفنان عظيم مثله وهو يصرخ "يالي من فنان عظيم يلقى حتفه" دفع الخنجر في عنقه، ثم سقط صريعًا. وبموت نيرون ينتهي حكم اسرة اليوليوكلاودية[١].

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٩- ١٧٠. عن موت نيرون ونهاية الأسرة اليوليوكلاودية راجع: M. T. Griffin, *Nero: The End of a Dynasty*, (New York, 2001)

الفصل الرابع

عام ثورات الجيوش وتولى الأباطرة الأربعة

(٦٨- ٦٩م)

أولًا: ثورة اليهود في فلسطين

ثانيًا: ثورة بلاد الغال

ثالثًا: الإمبراطور جالبا

رابعًا: الإمبراطور أوتو

خامسًا: الإمبراطور فيتيلليوس

أهداف الفصل الرابع

مقدمة

عاش أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية حياة كلها لهو وترف وعبث ينعمون بالسلام والاستقرار الذي وضع أغسطس دعائمه واستمر حوالي مائة عام تقريبًا –من عام ٣٠ق.م وحتى عام ٦٨م؛ ولكن لا يمكن للأمور أن تسير إلى الأبد على هذا النحو. فقد كان خلفاء أغسطس أباطرة ضعاف لكل منهم نقيصة أو عيب خطير في شخصيته، وكانوا صنيعة قيادات الحرس البرايتوري داخل القصر الإمبراطوري، وحقًا كانوا أباطرة الصدفة، وكان الحرس هم صناع أباطرة تلك الفترة. وفي عام ٦٨م وبانتحار الإمبراطور نيرون، تصارع على السلطة قادة الجيوش الرومانية، وكان يصل إلى العرش الإمبراطوري الأقوى والأكثر سندًا من غيره، وذلك بفضل قادة الجيوش الأخرى(١).

وقد أثبتت أحداث عامي ٦٨ و ٦٩م كيف أن قدر الإمبراطورية يكمن في ثكنات جيوشها القابعة تحرس الحدود، وأن قادة الجيوش استطاعوا أن يكونوا المحركين الأصليين للأحداث والسادة الحقيقيين للشعب الروماني. وقد وجد القادة الكبار فرصة لاستغلال شعبيتهم بين قواتهم، لتحقيق أحلامهم في الوصول إلى السلطة، أي أن الجندي الروماني لم يكن سوى وسيلة الوصول للسلطة بالنسبة لقائده. وقد ظل قادة الجيش يتحينون الفرصة حتى واتتهم عندما اندلعت حركتان من أخطر حركات الثورة والتمرد في الإمبراطورية الرومانية، الأولى ثورة اليهود في فلسطين، والثانية ثورة بلاد الغال الكبرى بقيادة جوليوس فيندكس. ووسط غموض المعارك ومؤامرات القصر الإمبراطوري أخذ كل جيش من جيوش الحدود يرشح قائده إمبراطورًا على البلاد(٢).

---

(١) محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٧٦.

(٢) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٧٧– ١٧٨.

أولًا: ثورة اليهود في فلسطين

نجح الرومان في صهر كثير من شعوب الإمبراطورية الرومانية ثقافيًا وفكريًا، وخلقوا نوعًا من العالمية الحضارية. ولكن شعبًا واحدًا استعصى أمره على الرومان ورفض الاندماج في العالمية الرومانية الجديدة، ألا وهم اليهود. وذلك لأن نظرتهم للدين بالنسبة لكيانهم السياسي اختلفت عن نظرة الرومان، ففي نظرة اليهود الدولة خادم للعقيدة، أما نظرة الرومان فقد كانت بعكس ذلك تمامًا وهي أن المعبد خادمًا للدولة. في عام ٦٦م اندلعت في مدن فلسطين الثورات وأعمال الشغب، بعضها كان في مدينة قيصرية، وكان اليهود يطالبون فيها بالمساواة في الحقوق السياسية مع باقي المواطنين من غير اليهود. وحدث البعض الآخر في أورشليم عندما صادر الحاكم الروماني سبعة عشر تالنتًا من خزائن المعبد الكبير مقابل متأخرات الضرائب المفروضة على اليهود. لم يهتم الرومان في بادئ الأمر بأعمال الشغب التي قام بها اليهود احتجاجًا على ذلك كرفض تقديم الأضاحي من أجل سلامة الإمبراطور؛ لكن سرعان ما اتخذ هذا الشغب طابعًا قوميًا منظمًا تحول إلى ثورة ضد الرومان بقيادة كهنة اليهود وأحبارهم[١].

وفي فبراير عام ٦٧م أرسل نيرون أحد كبار قادته وهو فلافيوس فيسباسيانوس (Flavius Vespasianus)، وصل فيسباسيانوس إلى فلسطين وعن طريق الخطط الدقيقة والمدروسة، وبسبب الملل الذي بدأ يتسرب إلى نفوس الثوار اليهود أنفسهم، بدأ فيسباسيانوس يقضى على المتمردين واحد تلو الآخر، حتى كاد يقضي منهم تمامًا. وبينما كان فيسباسيانوس يحاصر اليهود المتمردين في أورشليم، وصلت أنباء تفيد بأن ثورة قد حدثت في روما، وأن الإمبراطور نيرون قد انتحر، عندئذ قرر فيسباسيانوس أن يستمر في حصار المدينة حتى تسقط أو يتضح الموقف الغامض في روما[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨٠.

[٢] نفسه، ١٨٠.

ثانيًا: ثورة بلاد الغال بقيادة فيندكس

لم تكن ثورة فيندكس في بلاد الغال ثورة قومية موجهة ضد الرومان باعتبارهم رومان؛ لأن فيندكس نفسه كان متشبعًا بالثقافة الرومانية؛ بل كانت لأسباب اجتماعية. وسرعان ما أيد هذه الثورة سولبيكوس جالبا حاكم ولاية إسبانيا، ثم انضم إلى جالبا صديقه أوتو حاكم لوسيتانيا وزوج بوبايا سابينا السابق. لكن القوات الرومانية المرابطة عند الراين بقيادة فيرجينيوس عارضت هذه الثورة، واعتبر فيرجينيوس أن حركة التمرد هذه حركة قومية غالية ومن ثم قضى عليها وقتل فيندكس. ولما هتفت القوات الرومانية به إمبراطورًا رفض قبول ذلك، بل أعلن أنه يضع نفسه في خدمة السناتو[١].

ثالثًا: جالبا (ابريل ٦٨- يناير ٦٩)

جاء جالبا إلى الحكم وقد بلغ من العمر ٧١ عامًا، وكان أول حاكم من خارج الأسرة اليوليوكلاودية يجلس على العرش. وصل جالبا بقواته إلى روما عام ٦٨م، بمجرد انتحار نيرون، وحصل على تأييد الحرس البرايتوري بعد أن وعدهم بمكافأة مالية كبيرة، ووافق السناتو على ذلك لأن جالبا كان ينتمي لعائلة محافظة من أقدم العائلات الرومانية، كما كان سجل حياته مشرفًا. لكن لتشدده وتطرفه، أقدم على قتل عددًا من البحارة كانوا قد جاءوا لمقابلته مما ترك أثرًا سيئًا في بداية حكمه، فضلًا عن وضاعته أمام المال، وسوء اختياره لمستشاريه. كل ذلك ساعد في الإسراع بإبعاده عن السلطة. وفي بداية العام الجديد عام ٦٩م، تحرك جيش ألمانيا العليا ودمر تماثيل جالبا، وطالب السناتو والشعب الروماني باختيار خليفة جديد؛ لكن قوات ألمانيا السفلى في اليوم التالي كانت قد نادت بإمبراطور جديد، وهو فيتيلليوس (Vitellius) وقبلت قوات ألمانيا العليا هذا الترشيح الجديد وأيدته[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨١.

[٢] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٧٧.

ولما سمع جالبا بذلك سارع بتبني خليفة له لعله يجد منه بعض العون والتأييد، وكانت فكرة لا بأس بها لولا أن جالبا أساء الاختيار فبدلًا من أن يختار شخصية قوية ذات نفوذ شعبي وعسكري مثل فيرجينيوس أو أوتو اختار شخصًا أرستقراطيًا يدعى ماركوس بيسو (Marcus Piso)، لكن بيسو على الرغم من نبالة أصله ومولده ونظافة صحيفته، لم يكن بالشخص القوي، كما لم يكن محنكًا في الحياة لأنه كان شابًا في مقتبل العمر عديم الدراية بفن الحكم وألاعيب السياسة. وقد أغضب هذا الاختيار القائد أوتو كثيرًا لأنه كان من أشد المتحمسين لجالبا في وقت من الأوقات، فضلًا عن إنه كان شخصية مرموقة. وفي الخامس عشر من يناير ثارت قوات الحرس البرايتوري وفتكت بجالبا وخليفته، وأعلنت أن أوتو هو الإمبراطور وليس غيره[١].

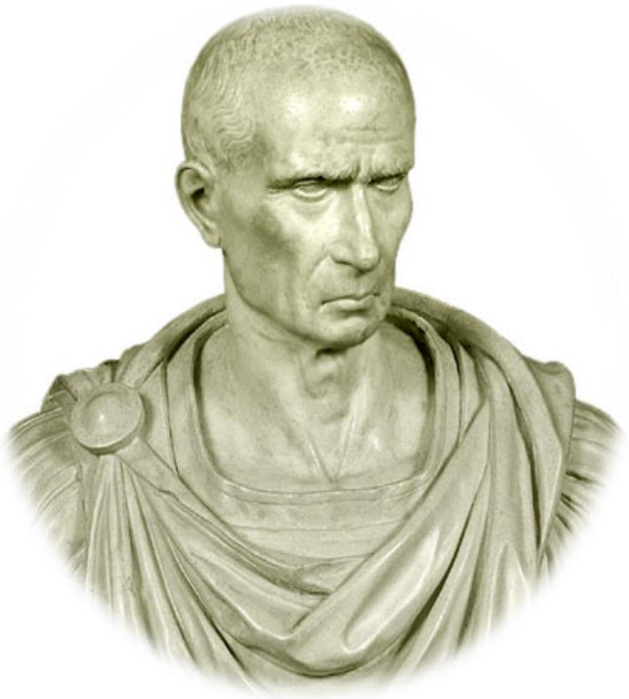

شكل (١١) الإمبراطور جالبا (ابريل ٦٨ – يناير ٦٩م)

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨٣، وللمزيد عن حياة الإمبراطور جالبا شاهد الفيديو التالي: https://www.youtube.com/watch?v=OYmoEvx8ZSQ

رابعًا: أوتو (يناير–ابريل ٦٩)

لم يتردد أوتو في قبول دعوة الحرس البرايتوري، وأبسط يده كل البسط لإرضاء الجنود، ووافق السناتو عليه على مضض. كان أوتو رجلًا قادرًا لأنه أثبت كفاءته أثناء حكمه لمقاطعة لوسيتانيا لمدة عشرة سنوات متتالية، وكان الإمبراطور نيرون قد عينه في هذه الوظيفة حتى يخلوا له الجو مع زوجته بوبايا سابينا تمهيدًا لتطليقها منه وتزويجها للإمبراطور المتيم بحبها. على أية حال بعد موت جالبا وولى عهده أرسل أوتو إلى السناتو يطلب السلام ويعرض خدماته. وبينما كان هذا يحدث كانت قوات الراين تتجه إلى روما لتثبيت فيتيلليوس على العرش، وأعلنت أنها لن تسمح مرة أخرى لقوات الحرس البرايتوري باختيار وفرض الإمبراطور الجديد على الدولة والجيش. ونجحت قوات الراين في إلحاق هزيمة ساحقة بجيش أوتو، وعلى الرغم من أن أصدقاء أوتو نصحوه بتجميع ما لديه من قوات مواليه في الولايات؛ إلا إنه تعجل وقرر أن يأخذ حياته بيده، حتى لا يعرض نفسه لفتك غريمه[١].

شكل (١٢) الإمبراطو أوتو (يناير–ابريل ٦٩)

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨٣- ١٨٤، وللمزيد عن أتو شاهد الفيديو على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=e25mCkmh3Bw

خامسًا: فيتيلليوس (ابريل- ديسمبر ٦٩م)

حاول الإمبراطور فيتيلليوس تكوين أسرة سياسية جديدة بعكس سلفه، خاصة أنه كان لديه ابن كبير يورثه العرش. ولهذا نجده يُبعد قوات الحرس البرايتوري التي كانت على عهد أوتو، ويعين بدلًا منها قوات جديدة منتقاة من بين قوات الراين. لكن سرعان ما حدث أمرًا أحزنه وهو أن الفرق العسكرية الرومانية في الشرق، قد غيرت ولاءها وحولته إلى قائد آخر هو فيسباسيانوس بطل فلسطين وقاهر اليهود، وكذلك فعلت فرق الدانوب نفس الشيء. وقد فرضت الأوضاع بهذه الصورة على القائدين الدخول في حرب أهلية جديدة في سبيل الوصول إلى عرش روما. وانتهت هذه الحرب بانتصار قواد فيسباسيانوس، وهروب فيتيلليوس، الذي أُلقي القبض عليه بعد ذلك ونُفذ فيه حكم الإعدام علنًا في ٢٠ ديسمبر عام ٦٩م[١].

شكل (١٣) الإمبراطور فيتيلليوس (ابريل-ديسمبر ٦٩م)

[١] محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان، ١٧٨- ١٧٩، وللمزيد عن الإمبراطور فيتيلليوس شاهد الفيديو على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Q_7B1sQCZOM

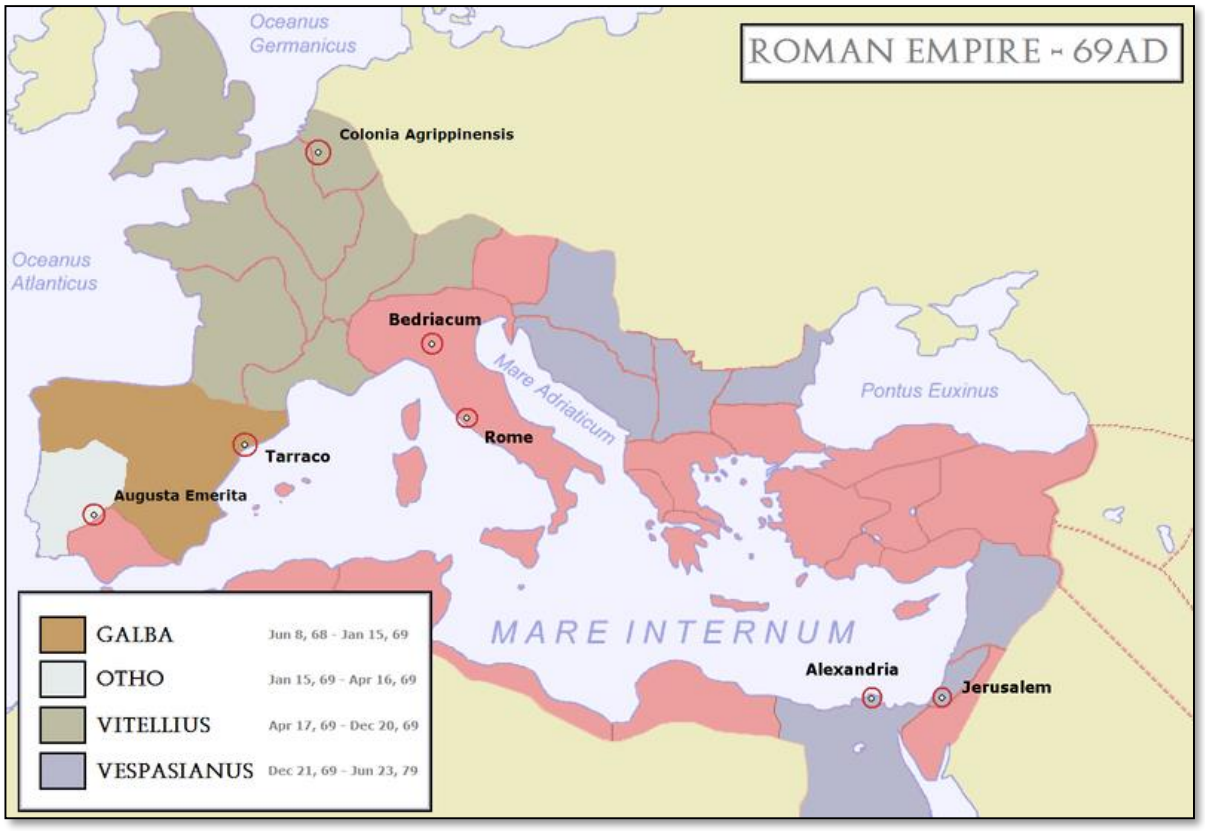

خريطة (٣) الإمبراطورية الرومانية بعد نيرون وتنافس القادة الأربعة الأكثر نفوذًا على السلطة[١]

[١] https://simple.wikipedia.org/wiki/Year_of_the_Four_Emperors

الفصل الخامس

الأسرة الفلافية (٦٩- ٩٦م)

أولًا: فيسباسيانوس

ثانيًا: تيتوس

ثالثًا: دوميتيانوس

أهداف الفصل الخامس

مقدمة

دخل فلافيوس فيسباسيانوس (Flavius Vespasianus) روما منتصرًا في نفس الظروف التي دخل بها أوكتافيوس بعد موقعة أكتيوم، وأسس الإمبراطور الجديد حكم الأسرة الفلافية نسبة إليه. لذا لقبه بعض المؤرخين بمؤسس الإمبراطورية الثانية. وبلغ عدد أباطرة الأسرة الفلافية ثلاثة أباطرة هم: فيسباسيانوس، وتيتوس، ودوميتيانوس، تولوا الحكم بداية من ديسمبر عام ٦٩م إلى عام ٩٦م[١].

أولًا: الإمبراطور فيسباسيانوس (٦٩- ٧٩م)

أطلق بعض المؤرخين على فيسباسيانوس مؤسس الإمبراطورية الثانية، وإلى حد بعيد يعتبر هذا اللقب صحيحًا، فما تسلم فيسباسيانوس العرش في الستين من عمره، حتى وجد العديد من المشاكل في انتظار حل لها. بعضها لا يقل صعوبة عن المشاكل التي واجهها أغسطس نفسه. فقد وجد فيسباسيانوس أن البلاد يديرها قادة حولوا الجيوش إلى الاقتتال والتنافس فيما بينها. كما وجد الخزانة العامة مفلسة وخاوية على عروشها، ووجد الروح المعنوية لدى الرومان منهارة، إذ لم يعد هناك الكبرياء الوطني والإيمان المطلق بعظمة الوطن والإمبراطورية بعد أن هزتهم الأحداث الدامية وزعزعت ثقتهم بأنفسهم[٢].

١. حياته وشخصيته

كان فيسباسيانوس رجلًا صارمًا صبورًا وذكيًا خبيرًا ومجربًا للحياة، كما كان رجلًا محبًا للعمل منكبًا عليه، فكان يبدأ يومه قبيل الفجر كما يروي بلينيوس في إحدى رسائله، وبذلك ضرب المثل لمساعديه وموظفيه الذين حاولوا احتذاءه. كان مخلصًا في قراراته لأنه كان يعرف

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٩٦.

[٢] نفسه، ١٩٦.

بالضبط ما تحتاجه الإمبراطورية، التي خدم في غالبية ولاياتها. كان محبًا للمداعبة والفكاهة حتى وهو في لحظة مفارقة الحياة، فعندما كان في سكرات الموت قال مداعبًا للواقفين من حوله "يا ويلتاه اعتقد إنني سأصبح ربًا!" ثم وقف وهو يقاوم الموت ليغادر سريره وبمساعدة رفقائه سار على قدميه لكي يستقبل وفدًا رسميًا قائلًا "إن الإمبراطور يجب أن يموت وهو واقف على قدميه"، ثم انهار ولفظ أنفاسه في أحضان أحد الحاضرين وكان ذلك في عام ٧٩م، وهو في التاسعة والستين من عمره. وبعد موته أعلن الرومان تأليهه، وكان جديرًا بذلك لأنه أعاد النظام إلى الإمبراطورية وأنقذ اقتصادها المنهار من الإفلاس، وأعاد تنظيم الجهاز الإداري والمالي على أسس واضحة وثابته. وعمل على توريث العرش لأبنائه من بعده، ومن ثم كان جديرًا أن يطلق عليه المؤرخين مؤسس الإمبراطورية الثانية[١].

شكل (١٤) الإمبراطور فيسباسيانوس (٦٩- ٧٩م)

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٢- ٢١٣.

٢. الإصلاح العسكري

قام فيسباسيانوس بتسريح فرق جيش الراين الجرمانية، وأحل محلها فرق جديدة جُندت من قبائل وقوميات متباينة منها الجرمان والغال والبلقانيين وقبائل شمال أفريقيا. كما حرص على عدم بقاء القوات المُجندة من الولايات لحراسة المناطق التي جُندت منها منعًا للثورة الوطنية والرغبة في الانفصال. اعتمد في تجنيد القوات على الطبقة الوسطى المثقفة. أنشأ الأكاديميات العسكرية لتخريج كوادر الضباط المدركين لرسالة الجيش في حماية الإمبراطورية. وعمل على تطهير الحرس البرايتوري وعين ابنه تيتوس قائدًا له[١].

٣. الإصلاح المالي

كلف بذخ نيرون وجنونه والحروب الأهلية المتعاقبة الإمبراطورية كثيرًا، ولما جاء فيسباسيانوس وجد الخزانة خاوية. فاتخذ العديد من الإجراءات المالية لحل هذه الأزمة ومنها: إلغاء الإعفاء الذي منحه نيرون لبلاد اليونان من دفع الضرائب. منح الإمبراطور المواطنة الكاملة لبعض الولايات، ومنح الحقوق اللاتينية (أي المواطنة غير الكاملة) لجميع سكان إسبانيا، وكان هدفه من هذا المنح هو إدماج هذه الشعوب في الإمبراطورية الرومانية، وبالتالي جعلها ملزمة بدفع ضريبة الإرث المفروضة على المواطن الروماني، مما يعني زيادة الدخل في ميزانية الدولة. كذلك هجر نيرون القصور الفخمة التي بناها نيرون ولجأ إلى بيت بسيط. فكسب بذلك تأييد كبير، وتدفقت الأموال لتملأ خزانة الإمبراطورية، وبدأت بشائر الرخاء تعلن مقدم عصور السلام[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٩٩.

[٢] نفسه، ٢٠٠.

٤. اهتمامه بالتعليم

كان فيسباسيانوس أول إمبراطور يحرص على جعل التعليم خدمة من الخدمات التي يجب أن تقدمها الدولة للمواطنين، وذلك لأنه أدرك مدى أهمية التعليم في نشر الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية في كافة ولايات الإمبراطورية. لهذا أصدر قرارًا بأن يكون التعليم في كافة أنحاء الإمبراطورية بالمجان، مقابل أن تدفع الدولة رواتب عالية للشعراء وأساتذة البلاغة والخطابة الإغريقية والرومانية. بل تكريمًا لهؤلاء الأساتذة أصدر قرارًا بإعفاء المدرسين من دفع أي ضرائب تقديرًا لدورهم. كما أنه وضع نواة التعليم العالي بتأسيس وظيفة أستاذ البلاغة والخطابة، والتي كان أول من شغلها الخطيب الإسباني الأصل فابيوس كوينتيليانوس (Fabius Quintilianus) مؤلف كتاب "معاهد الخطابة"[١].

٥. البناء والتعمير

أعاد فيسباسيانوس تعمير المنشآت والطرق العامة، فقد أعاد بناء الكابيتول والعديد من المعابد وأماكن العبادة، وشيد معبد السلام في الفوروم. ومن أشهر المنشآت التي خلفها للإنسانية ذلك الأثر الخالد المعروف باسم الكولوسيوم، الذي ظل يعرف حتى العصور الوسطى باسم "مسرح آل فلافيوس"، والذي كان الغرض من بناءه هو إعداد مكان مناسب لعرض مباريات المبارزين، ولكي يكون أيضًا مكانًا لقتل واصطياد الحيوانات المفترسة التي أنشأ لها جحورًا صناعية، وكان يسع خمسين ألف من المشاهدين. كما طهر قاع نهر التيبر من الرواسب الطينية حتى أصبح أكثر ملائمة للملاحة الداخلية. كما أصلح العديد من جسور المياه. اهتم كذلك بالطرق بغرض تسهيل ونقل الجيوش والتجارة. وقد استعان فيسباسيانوس بالجنود في إصلاح الطرق والمنشآت العامة والتحصينات الدفاعية. ولتشجيع الجنود على ذلك

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٢.

قام بنفسه بحمل التراب على كتفه أثناء تنظيف آثار الحريق والدمار الذي حاق بالعاصمة. وبذلك ضرب المثل الأعلى للمواطنين من أجل المشاركة العامة[١].

٦. سقوط أورشليم

عندما تولى فيسباسيانوس عرش الإمبراطورية كلف ابنه تيتوس عام ٧٠م بمهمة حصار أورشليم، وقد أدى هذا الحصار إلى انتشار المجاعة والمرض بين اليهود. وفي الوقت المناسب تمكن تيتوس من تدمير الأسوار، واسقاط معاقل اليهود وتدمير أورشليم. وأمر بحل التنظيمات السياسية والدينية اليهودية، وفرض عليهم ضريبة رأس مقدارها دينارين رومانيين، تدفع لحساب معبد جوبيتر الكابيتولي رب الرومان إمعانًا في إذلال اليهود. واحتفل تيتوس بإقامة قوس نصر لا تزال بقاياه موجودة قرب الفوروم الروماني حتى الآن، وعليه نحت يمثل أسلاب الرومان من المعبد اليهودي حُملت في الاستعراض الكبير بمناسبة هذا الانتصار بمدينة روما[٢].

شكل (١٥) نحت على قوس تيتوس يوضح أسلاب الرومان من أورشليم[٣]

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٢، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٠١– ٢٠٣.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٨٩– ١٩٠.

[٣] https://www.britannica.com/biography/Titus

ثانيًا: الإمبراطور تيتوس (٧٩- ٨١م)

تولى الحكم بعد فيسباسيانوس ابنه تيتوس، كان تيتوس محبًا للخير وكريمًا كما كان وسيم الشكل بعكس والده، لكنه كان عسكري مثله يحبه جنوده. كان عند وفاة والده قائدًا للحرس البرايتوري، وشريكا له في الحكم. أمر منذ بداية حكمه بإيقاف نظام الوشاة والمخبرين، ولم يحاكم أحدًا بتهمة الخيانة العظمى، حتى أنه رفض محاكمة متآمرين على حياته[١]. كرس حياته لرفاهية الشعب وتحسين أحواله، ولما كان وسيمًا بشوشًا مثقفًا وجنديًا شجاعًا وإداريًا حازمًا فقد اعتبره المؤرخين نموذجًا لما يجب أن يكون عليه الحاكم، بل لقبوه بـ "قُرة عين البشر" أو "حبيب الجنس البشري". وقد ضُرب به المثل في الكرم وسعة اليد، وروي عنه أنه جلس ذات مساء مع أصدقائه وقبل أن يبدأ تذكر أنه لم يفعل أمرًا خيّرًا لأحد في ذلك اليوم، فصاح حزينًا "أيها الأصدقاء لقد خسرت يومًا"[٢].

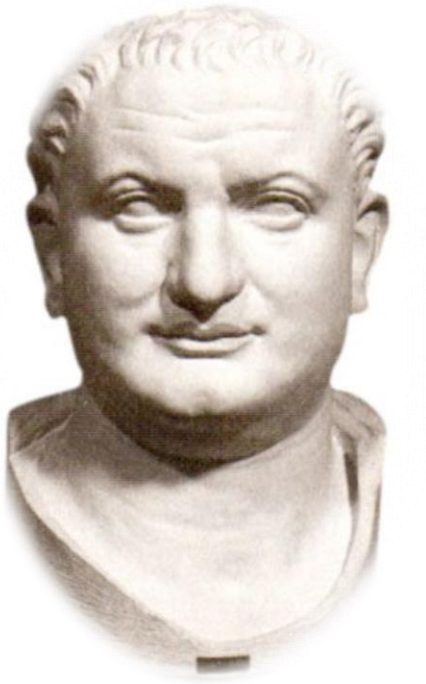

شكل (١٦) الإمبراطور تيتوس (٧٩- ٨١م)

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٧٤.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٣ -٢١٤

١. بركان فيزوف ٧٩م وحريق روما ٨٠م

في شهر أغسطس عام ٧٩م ثار بركان فيزوف قرب نابولي مصحوبًا بزلزال عنيف، فدمر وخرب ثلاث مدن تمامًا هي بومبي (Pompeii)، وهيركولانيوم (Herculaneum)، وستابي (Stabii). فقد انطمرت هيركولانيوم تحت ركام سمكه ستون قدمًا، وقد تم كشفها وعثر فيها على مكتبة فيلسوف ابيقوري حوت ١٧٥٦ لفة بردي عُرضت في متحف نابولي. كما حفظت لنا حمم البركان مدينة بومبي بشكل كامل بشوارعها ومنازلها ومرافقها[١].

والكارثة الثانية حدثت عام ٨٠م عندما اندلع حريق في روما راحت نيرانه تلتهم المباني والمنازل ثلاثة أيام متتالية، وقد أتت هذه النيران على معبد جوبيتر الكابيتولي. لم يتوانى تيتوس في تقديم العون ومواساة الضحايا وإصلاح ما دُمر؛ لكن يد المنية امتدت إليه في سبتمبر عام ٨١م، وهو في الثانية والأربعين من عمره، على أثر حمه أصابته وبكاه السناتو والشعب الروماني ورفعوه إلى مصاف الآلهة[٢].

شكل (١٧) صورة لبعض ضحايا بركان فيزوف ٧٩م، تم العثور عليها أثناء التنقيب في مدينة بومبي[٣]

---

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٧٤.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٤– ٢١٥.

[٣] https://www.sciencephoto.com/media/185718/view/victims-of-mt-vesuvius-eruption

٢. أعمال تيتوس وإصلاحاته

سار تيتوس على نهج والده حيث اهتم بالمشروعات العمرانية والمرافق العامة، فرمم العديد من جسور المياه، واعتنى بشبكات الطرق عبر الإمبراطورية كلها. وفي روما أكمل بناء الكولوسيوم وافتتحه في احتفال استمر لمدة مائة يوم. أنشأ في روما الحمامات الشهيرة المعروفة باسم "حمامات تيتوس". كما قضى على نظام المخبرين والمرشدين السريين، واهتم بأمن المواطنين حتى أنه رفض محاكمة المتآمرين ضده. وامتدت سماحته إلى احترام الديانات المختلفة لشعوب الإمبراطورية، ويذكر أنه حضر وهو لا يزال وليًا للعهد حفل اختيار عجل آبيس في منف بزيه الرسمي[١].

ثالثًا: الإمبراطور دوميتيانوس (٨١- ٩٦م)

هو أخو تيتوس وابن فيسباسيانوس، ما أن علم بموت أخيه حتى هرول إلى ثكنات الحرس البرايتوري ووعدهم بمكافآت سخية، وحصل على موافقتهم على ترشيحه إمبراطورًا حتى قبل أن يبدي السناتو رأيه في ذلك. وربما كان هدفه من ذلك هو وضع السناتو أمام الأمر الواقع. وبالفعل لم يجد السناتو بدًا من الموافقة على هذا الترشيح والإنعام على دوميتيانوس بالسلطات اللازمة والألقاب التقليدية وذلك في الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ٨١م. كان دوميتيانوس محبًا للسلطة والنفوذ، متعطشًا للقوت والجبروت، وكان أبوه وأخوه قد أدركا ذلك من قبل، فعملا على الحد من سلطاته وإبعاده من المناصب العسكرية. وخلال فترة إبعاده عن المناصب انكب على دراسة أعمال وسيرة تيبريوس الذي كان يقارن حاله بحاله، كما اهتم بالشعر والقراءة خاصة في مجال الحضارة الإغريقية، وأخذ ينهل من ينابيعها حتى أصبح يرى الحياة الرومانية من خلال منظار إغريقي[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٤.

[٢] نفسه، ٢١٥.

شكل (١٨) الإمبراطور دوميتيانوس (٨١- ٩٦م)

عمل دوميتيانوس على الانفراد بالسلطة، وغير لقب منصب الرقيب إلى الرقيب الأبدي، منذ عام ٨٥م. كذلك حرص على أن تتم مناداته بلقب "المولى أو الرب" خاصة من جانب موظفيه أو كتاب عصره. وجعل القسم بعبقرية الإمبراطور شرطًا في كل عقد أو وثيقة. وأسس هيئة كهنوتية للإشراف على عبادة أبيه وأخيه عُرفت بالهيئة الفلافية. كما حجم سلطة السناتو، فلم يترك له الفرصة للتلاعب أو الخروج عن الحجم الذي أراده له، مُستغلًا في ذلك سلطته كرقيب أبدي، من سلطاته أن يُسقط العضوية أو يمنحها لمن يريد، مما أثار غضبهم عليه. لذا لم يكن من الغريب أن يصدر السناتو لعنته عليه بعد موته، ويأمر بمحو اسمه وتدمير تماثيله[١].

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٥- ٢١٦.

١. سياسته وإصلاحاته

عمل على إرضاء الجيش وقادته فاهتم بتنظيم وسائل الإمداد العسكري، حيث أنشاء هيئة أو قيادة لشئون الجنود المغتربين، لتولى الإشراف على تجهيز القوات المسافرة. وورث عن أبيه وأخيه المهارة الإدارية والمالية وأصر على جمع الضرائب أولًا بأول. وحاول إصلاح الاقتصاد الروماني بالاهتمام بالزراعة[١].

كما شرع منذ أيامه الأولى في تنفيذ برنامج عملاق للبناء والتعمير، حتى أن وصفوه بأنه كان مجنونًا بالتشييد والبناء والتعمير، فأكمل ما لم يكمله أبوه وأخوه، وزاد على ذلك بإنشاء العديد من الملاعب والحمامات والمعابد الجميلة، كما أكمل حمامات أخيه تيتوس، وكذلك قوس النصر الضخم الذي كان تيتوس قد شرع في بنائه. كما أعاد فتح المكتبات العامة ودعمها بالكتب والوثائق. واهتم بإصلاح شون الغلال ومخازن التموين. واهتم أيضًا ببناء شبكات الطرق وتحصينها[٢].

٢. تمرد ساتورنينوس ٨٩م

حدثت حركة تمرد عسكرية عام ٨٩م في ثكنات القوات الرومانية في ألمانيا العليا والتي تزعمها أنطونينوس ساتورنينوس الحاكم الروماني لولاية ألمانيا العليا. وقد حرض ساتورنينوس قواته على إعلانه إمبراطورًا، وبنى ساتورنينوس أحلامه على تأييد بعض قادة الجيوش الرومانية. إلا أن حاكم ألمانيا السفلى الموالي للإمبراطور هب لسحق حركة التمرد، وبالفعل تمكن من سحقها وقتل ساتورنينوس. ومنذ هذه الحركة سيطر الرعب والقلق على الإمبراطور خاصة وأنه نمى إلى علمه أن وثائق قد عُثر عليها مع ساتورنينوس معظمها خطابات تأييد

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٤-٦٥.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٦-٢١٧.

من أشخاص عديدين تمنوا له النصر وحثوه على المضي قدمًا في ثورته. لهذا راح يتخيل المؤامرات التي تحاك ضده، وبدا بذلك عهد إرهاب جديد، واخذ بلا رحمة يسفك دماء الأعضاء البارزين في السناتو، واستعان بالمخبرين السريين، الذين راحوا يكيدون للناس انتقامًا منهم، وحقدًا عليهم، وابتزازًا لأموالهم، وطمعًا في ذهب الإمبراطور. وهو ما أدى إلى كراهية الناس له ولأعماله[١].

٣. اغتيال دوميتيانوس

إزاء حرص دوميتيانوس على فرض سلطاته المطلقة، ورفض السناتو لهذا الاتجاه، بدأ دوميتيانوس يتجه نحو الإرهاب والمحاكمات الصورية والإعدام بالجملة بتهمة الخيانة العظمى، مما شكل رأيًا عامًا مضادًا له، حتى أن المحيطين به لم يروا بدًا من اغتياله. وفعلًا تم اغتيال دوميتيانوس في عام ٩٦م على يد زوجته واثنين من قادة الحرس البرايتوري. لينتهي به عصر الأسرة الفلافية يبدأ عصر الأباطرة الصالحين[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٢٢.

[٢] حسين الشيخ، الرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٥م)، ٦٤.

الفصل السادس

عصر الأباطرة الصالحين

أولًا: الإمبراطور نيرفا

ثانيًا: الإمبراطور تراجانوس

ثالثًا: الإمبراطور هادريانوس

رابعًا: أنطونينوس بيوس

خامسًا: ماركوس أوريليوس

سادسًا: الإمبراطور كومودوس

أهداف الفصل السادس

مقدمة

هي الفترة التي تبدأ بموت دوميتيانوس عام ٩٦م وتولي نيرفا (Nerva) العرش وتنتهي بموت ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) عام ١٨٠م، وهي فترة العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية[١]. وسمي أيضًا بعصر السلام والرخاء[٢]، حيث وصلت فيه الإمبراطورية الرومانية لأقصى درجات التوسع والازدهار السياسي والاجتماعي والحضاري، نتيجة لسيادة السلام الروماني في الخارج وكفاءة الإدارة في الداخل[٣]. بموت دوميتيانوس سقطت الأسرة الفلافية وأدرك الرومان من الدروس السابقة ضرورة تغيير نظام تولي الأباطرة وأن نظام توريث الحكم للابن الأكبر أو أحق أبناء الأسرة ليس بالنظام الأفضل، وقد ساعدهم على ذلك أن دوميتيانوس مات دون أن يكون له وريث، وفي هذه الأثناء تبلورت فكرة جديدة لاختيار الإمبراطور وقد نجحت هذه الطريقة وأتت بأفضل العناصر على الإطلاق في تاريخ الإمبراطورية وهو نظام التبني من خارج دائرة الأسرة[٤].

أولًا: الإمبراطور نيرفا (٩٦- ٩٨م)

هو ماركوس كوكيوس نيرفا ينحدر من أسرة عريقة عملت بالقانون أبًا عن جد، ويمت عن طريق المصاهرة إلى الأسرة اليوليوكلاودية، وقد جعلته كفاءته على علاقة طيبة بالأباطرة الفلافيين. وكانت أول محاولة لنيرفا هي التشاور مع السناتو والتعاون معهم من أجل استعادة ثقة الشعب الروماني في الإمبراطورية. ولهذا بدأ في شراء الأراضي وتوزيعها على المعدمين من الرومان. كما بدأ مشروعًا بمقتضاه أصبحت الدولة تفرض رعايتها على أبناء فقراء الأقاليم

---

[١] حسين الشيخ، الرومان، ٦٤.

[٢] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٨١.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٣١.

[٤] نفسه، ٢٣٢-٢٣٣.

وتمدهم بالمعونة والتعليم وذلك عن طريق التبرعات، وقد اتسع هذا المشروع فيما بعد حتى أصبح من أهم أجهزة الدولة. وكان نيرفا محبوبًا من السناتو والشعب الروماني، وذلك لأنه أوقف محاكمات الخيانة العظمى، تلك التهم التي كان الأباطرة السابقون يستخدمونها لتصفية أعدائهم، وكذلك أعاد كل المنفيين السياسيين والفلاسفة المطرودين. ويعتبر مشروع نيرفا بإنشاء لجنة لمساعدة الفلاحين الإيطاليين الفقراء ورعاية أبناء المحتاجين وتعليمهم من أعظم إنجازاته وقد عرفت هذه "بالمعونة" (alimenta). وقد بدأ نيرفا مرحلة جديدة في تولى العرش عن طريق التبني من خارج الأسرة، فاختار خليفة له من القادة العسكريين الحازمين، وهو تراجانوس حاكم ألمانيا[١]. وقبل أن يعود الوريث من ولايته في ألمانيا ليتسلم مهام منصبه الجديد، لفظ الإمبراطور نيرفا أنفاسه الأخيرة، ودفن في الضريح الإمبراطوري الذي بناه الإمبراطور أغسطس[٢].

شكل (١٩) الإمبراطور نيرفا (٩٦- ٩٨م)

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٥-٦٦.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٣٤.

عن الإمبراطور نيرفا وأعماله راجع: https://www.youtube.com/watch?v=kiMxd090Qt8

ثانيًا: الإمبراطور تراجانوس (٩٨- ١١٧م)

هو أول إمبراطور يجلس على عرش الإمبراطورية ينحدر من أصول غير رومانية، فقد كان من سكان الولايات الإمبراطورية، وبالتحديد من إسبانيا، إلا أنه كان هو الشخص المناسب للمرحلة، فقد كان شخصًا عسكريًا حازمًا صارمًا قادرًا على تحمل المسئولية، ولهذا منحه السناتو لقب "أفضل الأباطرة". وقد توسع تراجانوس في سياسة المعونة الغذائية والرعاية التعليمية لأبناء الفقراء. وحرص على تحسين شبكة الطرق الرومانية، واهتم بالزراعة وشجع توطين الجنود المسرحين في إيطاليا لاستصلاح أراضيها[١]. ويعد وصول تراجانوس للعرش بداية لانتهاء سيادة أثرياء الرومان والإيطاليين واحتكارهم للوظائف العليا في الإمبراطورية، وبداية تولي طبقة من النبلاء والأعيان القادمين من الولايات الغربية الوظائف القيادية في الإمبراطورية[٢].

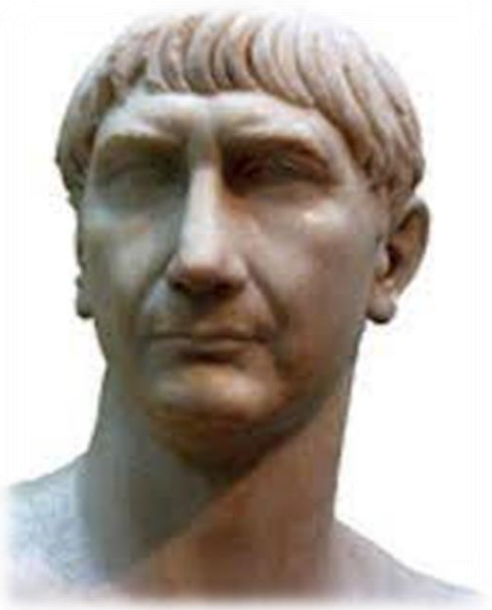

شكل (٢٠) الإمبراطور تراجانوس (٩٨- ١١٧م)

---

[١] حسين الشيخ، الرومان، ٦٥.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٣٧.

للمزايد عن تراجانوس وأعماله شاهد: https://www.youtube.com/watch?v=-BagdB-pqno

١. سياسته تجاه السناتو

سلك تراجانوس مع السناتو سياسة الاحترام والتقدير وتعاون معه بشغف، في نفس الوقت الذي حظي فيه بحب الشعب، لهذا منحه السناتو لقب "أفضل الأباطرة" في عام ١٠٠م. وقد سك هذا اللقب على النقود الرومانية عام ١٠٥م، لكنه لم يصبح لقبه الرسمي إلا في عام ١١٥م. وظلت ذكراه لقرون عديدة موضع تقدير حتى أصبح مثلًا وقدوة، ففي القرون التالية كان السناتو يُكرم ويتملق الأباطرة بعبارة تقليدية تقول "يا أسعد من أغسطس ويا أكفأ من تراجانوس". ولم يسمح تراجانوس لأعضاء السناتو البارزين والطموحين باستغلال مناصبهم كما كانوا يفعلون أثناء حكم نيرفا عندما استغلوا كهولة الإمبراطور وتسامحه، وطلب تراجانوس من السناتو محاكمة أمثال هؤلاء دون تدخل منه، لأنه أعلن مرارًا أنه لن يصدر حكمًا بالإعدام أو النفي على أي عضو من السناتو ما لم يكن الحكم صادرًا من مجلس السناتو ذاته[١].

٢. أعماله

وسع تراجانوس في سياسة المعونة الغذائية والرعاية التعليمية لأبناء الفقراء في الأقاليم، وجعل لها إدارة تحت إشراف رقباء الطرق. كما قدم للفلاحين المساعدات والسلفيات المالية نظير نسبة محددة من الفائدة، وخُصصت أرباح هذه السلفيات لرعاية أبناء الفقراء والمحتاجين من أبناء الأقاليم. وقد كان هدف تراجانوس من تقديم السلف الزراعية هو إنعاش الزراعة في إيطاليا، لهذا منع الهجرة من إيطاليا وشجع على إصلاح الأراضي فيها وتوطينها بالجنود المسرحين. كما حرص على تحسين الطرق والجسور والموانئ في الولايات الرومانية وبناء طرق جديدة لخدمة التجارة والجنود في السلم والحرب، وأهمها الطريق الذي كان قائمًا على خليج العقبة. وأعاد حفر القناة التي كانت تربط بين النيل وخليج السويس. كما أعاد

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٣٨-٢٣٩.

تنظيم البريد وتعيين مشرف عليه من طبقة الفرسان. كما كان اهتمام الإمبراطور بإنعاش اقتصاد الإمبراطورية وتجميل العاصمة كبيرًا، مما دفعه للقيام بحركة بناء وتعبير كبرى. فقد أقام ساحة جديدة "فوروم جديد" رائعة يحيط بها مرافق الحياة العامة من أسواق ومخازن وحوانيت، وفي وسطها أقام عمودًا ضخمًا زُين برسومات تبين غزواته ضد أهل داكيا، ويعرف هذا العمود باسم عمود تراجانوس. كما أقام جسرًا لمد الأحياء الفقيرة على الناحية الأخرى من التيبر بالمياه عرف باسم "جسر مياه تراجانوس". وقد شجع تراجانوس أغنياء الأقاليم على الاقتداء به، وإقامة المنشآت بقصد تجميل مدنهم على نفقتهم الخاصة مساعدة منهم في إنعاش وتعمير الولايات[١].

شكل (٢١) جزء من عمود تراجانوس[٢]

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٤١.

[٢] https://www.alamy.com/stock-photo-emperor-trajans-column-rome-italy-27451623.html

٣. سياسته التوسعية

كان تراجانوس هو أول من حطم سياسة الجمود الأغسطي، وعاد بالبلاد إلى سياسة التوسع، فأضاف مملكة داكيا إلى الولايات الرومانية، ووسع من حدود ولاية نوميديا، وتوسع في الشرق فضم مملكة الأنباط في شرق الأردن. وشهد عهده ثورة اليهود الكبرى عام ١١٥م، التي بدأت في قوريني وامتدت إلى قبرص ومصر وفلسطين؛ إلا أنه قمعها بكل عنف. وقبل أن يتوفى تراجانوس في التاسع من أغسطس عام ١١٧م، طلب تبني أحد أقربائه من الشباب وهو بوبليوس أيليوس هادريانوس (Publius Aelius Hadrianus)[١].

خريطة (٤) الإمبراطورية الرومانية عام ١١٧م[٢]

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٧.

[٢] https://www.123rf.com/photo_29938592_the-roman-empire-at-its-greatest-extent-in-117-ad-at-the-time-of-trajan-plus-principal-provinces-vec.html

ثالثًا: الإمبراطور هادريانوس (١١٧- ١٣٨م)

بعد موت تراجانوس صدق السناتو على تولي هادريانوس العرش، وكان هو أيضًا من إسبانيا[١]. تمتع باحترام كبير بين قوات الجيش وجموع الشعب الروماني وشعوب الولايات، فقد كان تاريخه العسكري مشرفًا للغاية ولاقى قرار تعيينه ترحيبًا واسعًا. ورث هادريانوس تركة مثقلة عن سلفه تراجانوس صاحب سياسة الاندفاع العسكري التوسعي، فقد كلفت هذه الحروب التوسعية الاقتصاد الروماني كثيرًا، كما أهلكت جزءًا كبيرًا من القوة البشرية في الإمبراطورية. وهو ما جعل هادريانوس يتخذ قرارًا بإحداث تغيير شامل في السياسة الخارجية لوقف النزيف الاقتصادي والبشري فعمل على احياء سياسة "السلام الروماني"، وتوقف عن التوسع وانتهج سياسة دفاعية للدفاع عن حدود الإمبراطورية الرومانية[٢].

شكل (٢٢) الإمبراطور هادريانوس (١١٧- ١٣٨م)

---

[١] حسين الشيخ، الرومان، ٦٦.

[٢] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٨.

عن هادريانوس وأعماله شاهد: https://www.youtube.com/watch?v=s5u_Xz-AGDQ

كان هادريانوس مولعًا بالثقافة والفنون الإغريقية وانكب عليها ينهل منها بنهم شديد، لهذا تهكم عليه المتطرفون من الرومان ولقبوه "بالمتأغرق"، وربما كان هادريان سعيدًا بهذا اللقب لأنه كان يدين بالكثير للثقافة الإغريقية التي خلقت له فكرًا راقيًا وحكمة واتزانًا. كما كان يحرص دائمًا على لياقته البدنية، لهذا كان يتمتع بقامة ممشوقة ويتفجر حيوية وصحة، وكان رياضيًا من الدرجة الأولى، محبًا للرحلات والتجول، وكانت هوايته الأولى هي القنص. كما كان هادريانوس ملمًا بخبرات متنوعة وتجارب عديدة فقد تقلب في المناصب الإدارية والعسكرية[١].

١. سياسته الخارجية

قرر هادريانوس إحداث تغيير شامل في السياسة الخارجية لوقف النزيف الاقتصادي والبشري الذي أصاب الإمبراطورية من جراء حروب تراجانوس التوسعية، فأصدر قرارًا بوقف التوسع شرقي دجلة والفرات، وأصدر أوامره إلى قواته بالانسحاب من ولاية بلاد النهرين، كما أعاد أرمينيا التي كانت قد ضمها تراجان إلى ولايات الإمبراطورية الرومانية إلى وضعها القديم وهو الاستقلال الذاتي بشرط أن تسير في فلك الإمبراطورية، كما عقد معاهدة سلام مع البارثيين، وكان غرضه من ذلك هو الدفاع عن حدود الإمبراطورية وحمايتها. وتعرضت سياسة هادريانوس المسالمة والدفاعية لموجة شديدة من النقد، خاصة من جانب العسكريين التوسعيين الذين كانوا يحلمون بفتوحات جديدة، إلا أن هادريانوس لم يعبأ بهذه الموجة من النقد، وتمسك بسياسته التي كان لها سابقة في تاريخ الإمبراطورية وهي سياسة الإمبراطور أغسطس نفسه التي وضعت حدًا للتوسع، ولهذا اتخذ لنفسه لقب "هادريانوس أغسطس"، وتشبهًا بسياسة أغسطس أطلق هادريانوس على سياسته اسم "السلام الأغسطي" [٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٤٨.

[٢] نفسه، ٢٤٩-٢٥٠.

٢. ثورة اليهود في فلسطين

زار هادريانوس أورشليم أثناء رحلته لزيارة آسيا الصغرى والشرق الأوسط ومصر، وأمر ببناء معبد فيها للإله جوبيتر فوق أطلال معبد سليمان الذي دمره الإمبراطور تيتوس، مما أدى إلى اندلاع ثورة يهودية أخرى عام ١٣٢م، بقيادة متطرف يهودي يُدعى شمعون باركوخبا أو سيمون باركوخبا؛ إلا أن الإمبراطور تمكن من سحق هذه الثورة في عام ١٣٥م، ودمر أورشليم تمامًا وهجّر سكانها من اليهود وتفرقوا في شتى بقاع العالم[١]. وقد بلغ عدد اليهود الذين لقوا حتفهم في هذه الثورة على ما يقرب من نصف مليون يهودي، وأسر ما يقرب من هذا العدد، ودُمرت أورشليم وتحولت إلى أطلال[٢].

٣. إصلاحاته العسكرية

حظي الجيش في عهد هادريانوس باحترام كبير، وأصبحت قوة روما مرهوبة الجانب تخشاها أمم الأرض جميعًا، وأصبحت حدودها قوية محصنة، فقد كان هادريانوس أول إمبراطور روماني يطبق خطة دفاعية منظمة لإقامة الحصون والأسوار والخنادق الدفاعية مثل سور هادريانوس شمال بريطانيا، وقد لقيت الحدد الألمانية بالذات معظم اهتمامه إذ بنى فيها عددًا من القلاع والأسوار ذات الأبراج المحصنة والبوابات الكبيرة، وبذلك أحاط الإمبراطورية بسياج دفاعي حقق الأمن والسلام لشعوبها. ومن أهم التغييرات التي أجراها هادريانوس في المجال العسكري إزالته للفروق بين الفرق الرومانية والقوات المساعدة التي كانت تتكون من الحلفاء الأجانب أو سكان الولايات، في مجالات التدريب والتسليح والتشكيل، ولأول مرة لم يعد

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٨.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٥٧. للمزيد راجع: علاء عبدالدائم زوبع، على محمد رشيد، ثورات اليهود في عهد الدولة الرومانية – ثورة باركوخبا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج ٦، ع ٣، (٢٠١٦م)، ٢٤٦-٢٧٧.

المواطنون الرومان ينضمون إلى الفرق فقط، والأجانب للقوات المساعدة فقط؛ بل أصبح هناك مواطنون رومان يخدمون في القوات المساعدة، وأجانب يخدمون في الفرق الرومانية. كما حرص على تحريك الجيوش لتكون بالقرب من أطراف الحدود وإبعادها عن المناطق الداخلية. وكان دائم الحث للشباب للانضمام إلى صفوف الجيش عن طريق تعميق الإحساس بالوطنية والواجب، وعن طريق إغرائهم بتوطينهم في مستوطنات عسكرية دائمة على الحدود وكان أغلبهم من أبناء الجنود الذين ولدوا بالقرب من المعسكرات أثناء الخدمة، ومن ثم منح هادريانوس هؤلاء "حق وراثة الأب" وكان هذا الحق محرمًا عليهم قبل ذلك. وإلى جانب القوات المساعدة التي عسكرت في القلاع والحصون على طول حدود الإمبراطورية أسس هادريانوس قوات جديدة أطلق عليها اسم "الفئات" وذلك من القوميات المختلفة التي تتكون منها شعوب الإمبراطورية، أشبه بالقوات الخاصة في الجيوش الحديثة[١].

٤. إصلاحاته الإدارية

اهتم هادريانوس بتنظيم الإدارة في الولايات الرومانية، وأنشأ مدنًا جديدة مثل أنتينوبوليس في مصر. وأعاد تنظيم الجهاز الحكومي في الإمبراطورية[٢]، فعمل على اختيار أكفأ العناصر للعمل به فقد وضع شروطًا لاختيار هذه العناصر، مثل أن يكون الفرد كفئ وقادرًا ومدربًا ووفيا للإمبراطور والإمبراطورية، ومقابل ذلك زاد من الرواتب وأكثر من المكافآت التشجيعية. اعتمد على رجال الفرسان لشغل المناصب العليا بدلًا من المعتقين الذين كان يعتمد عليهم كلاوديوس، وذلك لإنه كان يُدرك مدى مهارة الفرسان العملية والقيادية في إدارة شئون الإمبراطورية[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٥٨- ٢٥٩. وعن الفئات راجع: P. Southern, "The Numeri of the Roman Imperial Army", *Britannia*, Vol. 20 (1989), 81-140.

[٢] حسين الشيخ، الرومان، ٦٦. للمزيد راجع: M. T. Boatwright, Hadrian and the Cities of the Roman Empire, (Princeton, 2000).

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٦٢.

كما أصبحت إصلاحاته في مجال التشريع تراثًا عامًا للبشرية وقدوة للقضاة في كل مكان وزمان، فمثلًا جعل لفتاوي المشرعين والفقهاء قوة القانون وملزمة للقضاة للأخذ بها عند نظر القضايا، ولا يصبح القاضي حرًا منها إلا إذا تناقضت هذه الفتاوي مع بعضها البعض، عندئذ يرجع القاضي إلى ضميره ورأيه لإصدار الحكم. وقد جمع الإمبراطور جستنيان الأول هذه الفتاوي في موسوعة قانونية نسبها لنفسه[١]. وعندما مرض الإمبراطور هادريانوس اختار أنطونينوس خليفة له، وتوفي هادريانوس عام ١٣٨م[٣].

رابعًا: أنطونينوس بيوس (١٣٨- ١٦١م)

تولى أنطونينوس بيوس (Antoninus Pius) العرش بعد وفاة هادريانوس، وكان وقتها في الثانية والخمسين من عمره. وهو في الأصل من بلاد الغال تبناه هادريانوس قبل وفاته وقليل واشترط عليه تبني ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) من بعده. وقد أطلق عليه السناتو لقب بيوس بمعنى (التقي أو الحنون)، تعبيرًا عن تقواه تجاه هادريانوس خاصة أنه انتزع من السناتو قرارًا باعتبار هادريانوس إلهًا، فضلًا عن التزامه بالواجب والفضائل الرومانية القديمة. ويُعد أنطونينوس من أفضل الأباطرة الرومان حيث كرس وقته وجهده لرفاهية شعبه. وكانت له خبرة سابقة في الإدارة حيث عينه الإمبراطور هادريانوس من قبل حاكمًا على بعض الولايات، كما كان عضوًا في مجلس السناتو[٤].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٦٩، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٦٤.

[٣] حسين الشيخ، الرومان، ٦٦. وللمزيد عن هادريانوس وأعماله راجع: ساني أحمد نسيم محمد، سياسة تراجان وهادريان في حكم الإمبراطورية الرومانية: دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراة –غير منشورة، (جامعة الإسكندرية، ٢٠١٧). أيضًا:
O. Hekster, "Hadrian and the Limits of Empire", in C. Gazdac (ed.), *Group and Individual Tragedies in Roman Europe. The evidence of Hoards, Epigraphic and Literary Sources*, (2020), 277-287.

[٤] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٨٧.

شكل (٢٣) الإمبراطور أنطونينوس بيوس (١٣٨- ١٦١م)

١. شخصيته وصفاته

كان أنطونينوس بيوس طويل القامة، وذا طلعة بهية تنبئ بالوقار والتقوى، وكان رقيقًا مهذبًا في معاملته مع الناس. وكان ذكيًا محبًا للتبحر في العلوم والمعرفة، وخطيبًا مفوهًا. كما كان حازمًا مجدًا في عمله يكره الترف ويعشق البساطة والصدق. وكان بعيدًا كل البعد عن الكبرياء والغرور، ومحبًا للخير والعدل، ولهذا كله لم يكن له أعداء كثيرون، بل أحبه الجميع وأخلصوا له. وقد حكم أنطونينوس بيوس ثلاثة وعشرين عامًا مرة هادئة، فقد كان الإمبراطور نفسه هادئًا وديعًا في حياته الخاصة والعامة، لم يخرج أبدًا عن سياسة هادريانوس، بل سار على منوالها بوفاء عظيم، فلم يحدث في عهده حروب أو ثورات في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية إلا نادرًا[١].

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٧٠- ٢٧١.

٢. أعماله وإصلاحاته

حرص أنطونينوس على أن تأخذ العدالة مجراها وأن يسود القانون في كل ربوع الإمبراطورية الرومانية، كما حرص على دعم حدودها بإقامة الحصون والقلاع. أنفق الكثير على البناء والتعمير وأعمال الخير والبر والرعاية للفقراء، وكانت الموانئ الإيطالية أولى اهتماماته، كما بنى الحمامات والمسارح وملاعب الرياضة والمكتبات العامة في كثير من المدن الإيطالية. كما عمل على دعم صندوق الإعانة الاجتماعية والصحية والتعليمية القديم. كذلك لم ينس أنطونينوس شعوب ورعايا الإمبراطورية في الولايات، ففي عهده ازدهرت الطبقة الوسطى ونعمت بالعدل، ففي مصر مثلًا اعتبر عهده عهدًا مُباركًا مليء بالخيرات[١].

وقد كان أنطونينوس خبيرًا بكل دقائق القانون وقواعد الفقه والتشريع، وله مساهمات عظيمة في التفسير والتوضيح خاصة في قوانين الوصاية على القُصر والأيتام، وقوانين عتق العبيد، حيث شدد من العقوبات المفروضة على السادة الذين يعذبون عبيدهم أو يقتلوهم. كما حارب الجرائم بتشديد العقوبات عليها خاصة جرائم الخطف التي تفشت في إيطاليا في ذلك الوقت. ومن مساهمات أنطونينوس في القانون الروماني تخفيفه العقوبات المفروضة على الهاربين من الجندية والجيش، وإطلاق سراح الأسرى الذين قضوا عشرة سنوات في الأشغال الشاقة في المناجم والمحاجر. كما ألغى الحظر الذي فرضه هادريانوس على اليهود بخصوص ممارسة عادة الختان، وحظر أي اضطهاد ضد المسيحيين. ومن المعروف أن أنطونينوس هو صاحب أشهر قواعد القضاء مثل "المتهم بريء إلى أن تثبت إدانته"، ومثل "إذا تنازع القضاة حول الحكم يفسر ذلك لصالح المتهم"[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٧٢– ٢٧٣.

[٢] نفسه، ٢٧٤

خامسًا: ماركوس أوريليوس (١٦١- ١٨٠م)

يُعد ماركوس أوريليوس أخر أباطرة روما العظام، وهو من أصل إسباني. وكان من عائلة عُرفت بالخلق العالي والاهتمام القضايا الفكرية[١]. وكان ماركوس أوريليوس رحيمًا، خيرًا، متسامحًا، حتى شبهه البعض بالسيد المسيح في أخلاقياته وسلوكه. ولعل أوريليوس رغم أنه لم يكن مسيحيًا، قرأ عن السيد المسيح وعرف شيئًا عنه من المسيحيين الأوائل[٢]. وفي بداية حكمه أشرك معه أخوه بالتبني لوكيوس فيروس وبالتالي أصبح لأول مرة يتولى عرش الإمبراطورية الرومانية إمبراطوران كل منهما يحمل لقب قيصر أغسطس. ويرى البعض أن هذا التجديد نابع من حب ماركوس أوريليوس لأسرته ورغبته في تدعيم صلة الرحم؛ بينما يرى آخرون أن صفاء ذهن الإمبراطور جعله يؤمن بأن الإمبراطورية كانت فعلًا في حاجة لأكثر من رجل من أجل النهوض بأعبائها والوصول بها الى المستوى اللائق في الداخل والخارج[٣].

شكل (٢٤) الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١- ١٨٠م)

---

[١] سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ١٨٨.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٧٦.

[٣] حسين الشيخ، الرومان، ٦٧، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٧٧.

كان ماركوس أوريليوس فيلسوفًا بطبيعته ومريدًا مخلصًا للرواقية، التي كان قد تلقى دروسها في شبابه ومارس أفكارها، ولكن بغير تشدد أو تعصب. وكان دائم الرجوع إلى ذاته والتأمل فيها لدرجة أنه ألف كتابه المشهور باللغة اليونانية بعنوان "مع الذات" والذي ترجمه الرومان إلى "التأملات". وعلى الرغم من زهده وتجرده عن الطموح فقد فرضت عليه الأخطار التي حاقت بالإمبراطورية القتال وهو كاره له. فدخل في حرب ضد البارثيين حاول ملكهم غزو أرمينيا، كما حارب في الدانوب وفي هذه الحرب مات شريكه في الحكم لوكيوس فيروس فانفرد ماركوس أوريليوس بالحكم، كما أخمد تمرد قام به حاكم سوريا. وفي أواخر أيامه أعلن ماركوس أوريليوس ابنه كومودوس خليفة له على العرش، وبذلك خرج على التقليد الذي سنه من سبقوه من الأباطرة[1].

سادسا: كومودوس (١٨٠- ١٩٢م)

يعد عهد كومودوس نهاية لعصر الرخاء الذي بدأ من بعد موت دوميتيانوس، وهو ما يعرف بعصر الأباطرة الصالحين. فقد كان كومودوس جبانًا وقاسيًا وشهوانيًا، كما كان شديد الإعجاب بقوته الجسمانية، محبًا لاستعراض ذلك في الظهور أمام الناس في حلبات المصارعة مع الجلادين، مظهرًا مهارته في صيد الحيوانات المفترسة. وكان يحرص على اظهار قوته في قتل من يصارعه سواء كان ذلك إنسانًا أو حيوانًا بهيراكليس البطل ذو القوة الخرافية في الأساطير الإغريقية، ويظهر مثله كقاتل للأسود الضارية، ولذا حرص كومودوس على أن يحتفظ في تماثيله بالهراوة الكبيرة وجلد الأسد كما كان يُصور هيراكليس. ولما كان كومودوس

---

[1] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٧١-٧٢. وعن كتاب ماركوس أوريليوس التأملات راجع: ماركوس أوريليوس، التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة: أحمد عتمان، (القاهرة، ٢٠١٠م). وراجع كتاب التأملات مسموعًا على الرابط التالي: الجزء الأول: https://www.youtube.com/watch?v=Xzgv1OE5E0c
والجزء الثاني على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=PdVyQt6DnD8
والجزء الثالث على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=pwNrSqTuPiA

منهمكًا في عالمه الخاص فقد ترك الحكم تمامًا، واحتقر السناتو. وعندما اكتشف أن هناك مؤامرة يحيكها زعماء السناتو بدأ في الانتقام بوحشية منهم، ولهذا لم يكن كومودوس محبوبًا من أحد على الإطلاق. وأصبح بقاءه على العرش رهينة برضاء الحرس البرايتوري عنه، ولهذا راح يسترضيه بالمنح والهدايا، وقد استغل الحرس البرايتوري هذا الوضع للإثراء على حساب الإمبراطور الضعيف لحين التخلص منه في الوقت المناسب[١].

شكل (٢٥) الإمبراطور كومودوس (١٨٠- ١٩٢م)

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٨٧.

للمزيد عن كومودوس وشخصيته شاهد: https://www.youtube.com/watch?v=5yxX5bFa2uk

وعلى الرغم من أن حدود الإمبراطورية بقيت سالمة بفضل قادة الجيش الروماني الذين قاموا بواجبهم على أكمل وجه؛ إلا أن الفوضى الداخلية بدأت تهدد أمن الإمبراطورية. فقد تدهور الاقتصاد في عهد كومودوس وفي نفس الوقت أغرق نفسه في الترف والملذات، حتى أفرغ الخزانة وتركها خاوية على عروشها، ولجأ إلى مصادرة أموال الأغنياء بعد أن كال لهم التهم، ونتيجة تصرفاته الخاطئة تم اغتياله عام ١٩٢م[١].

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٧٣.

الفصل السابع

اندلاع الصراع بين قادة الجيوش وقيام حكم الأسرة السيفيرية

أولًا: بيرتيناكس

ثانيًا: جوليانوس والصراع بين قادة الجيوش

ثالثًا: سيفيروس وقيام حكم آل سيفيروس

رابعًا: كاراكلا وجيتا

خامسًا: ماكرينوس

سادسًا: إلجابالوس

سابعًا: الإسكندر سيفيروس وانتشار الفوضى حتى عهد دقلديانوس

أهداف الفصل السابع

مقدمة

أدى انتشار الفساد ولهو الإمبراطور كومودوس إلى إفلاس الخزانة، ومن ثم بدأ يتصيد الأغنياء والموسرين ويلفق التهم ضدهم طمعًا في مصادرة أموالهم، وساد حكم الرعب والإرهاب، وضاع الاحساس بالأمن الذي ساد في عصر الأباطرة الصالحين. وفي النهاية تم اغتيال الإمبراطور كومودوس نتيجة لمؤامرة دبرتها محظيته ماركيا (Marcia) بمساعدة قائد الحرس البرايتوري كوينتوس ايميليوس لايتوس (Quintus Aemilus Laetus) وكبير أمناء البلاط إكليكتوس (Eclectus)، عندما أوعزوا إلى أحد المصارعين بخنق الإمبراطور حتى الموت داخل حلبة المصارعة. وكان هؤلاء المصارعون قد أعدوا مرشحًا لتولي العرش هو هيلفيوس بيرتيناكس (Helvius Pertinax)[١].

أولًا: الإمبراطور بيرتيناكس ١٩٢- ١٩٣م

تولى بيرتيناكس العرش بعد اغتيال الإمبراطور كومودوس في عام ١٩٢م، وكان أقدم أعضاء مجلس السناتو، لذلك وافق السناتو على تعيينه إمبراطورًا؛ إلا أن كبر سنه جعله ألعوبة في أيدي من أتو به إلى العرش، ولما حاول أن يضيق الخناق على قادة الحرس البرايتوري قاموا باغتياله بعد أقل من ثلاثة أشهر من توليه العرش[٢]. أعد بيرتيناكس خلال فترة حكمه برنامجا يتضمن إصلاح الأراضي البور، وتخفيض الضرائب على الواردات والصادرات، وتخفيض نفقات الدولة العامة. وكانت هذه السياسة ناجحة ولكن لم تكن لتعطي أكلها إلا بعد وقت طويل، ولم يكن هذا الشيخ العجوز – كان قد بلغ عامه السادس والستين عند توليه الحكم– ليعيش حتى يرى ثمار سياسته[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٠٦- ٣٠٧.

[٢] حسين الشيخ، الرومان، ٦٨.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٠٧.

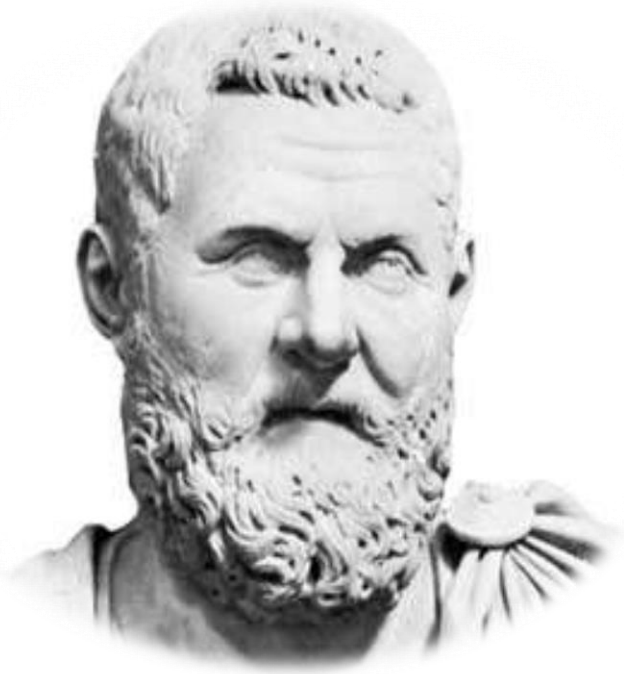

شكل (٢٦) الإمبراطور بيرتيناكس ١٩٢- ١٩٣م

ثانيًا: جوليانوس والصراع بين قادة الجيوش

لم يكن الإمبراطور بيرتيناكس قد عين خليفة له قبل وفاته، لذا سقطت الإمبراطورية في فوضى عارمة[١]. واستغلت قوات الحرس البرايتوري قيام منافسة بين عضوين في السناتو على تولي العرش وحدث ما يشبه المزاد العام إلى أن فاز العضو الثري ديديوس جوليانوس (Didius Julianus) بعد أن عرض مبلغ قدره ٢٥ ألف سستركيس للحرس البرايتوري، وبالطبع رضخ السناتو لرغبة الحرس البرايتوري وأذعن لإرادته ووافق على الترشيح. ويقال إن جوليانوس كان يملك من المال أكثر مما يملك من العقل والذكاء، لأنه أتى إلى العرش بطريق الرشوة والوضاعة والإهانة. ولهذا أمضى فترة حكمه القصيرة معتكفًا في روما، محتقرًا من السناتو والشعب حتى ثارت قوات الجيوش الرومانية على هذا الوضع في الشرق الأوسط وفي الدانوب وفي بريطانيا، ورشحت أباطرة من عندها طمعًا في مكافأة مجزية بعد الوصول إلى العرش[٢].

---

[١] حسين الشيخ، الرومان، ٦٨.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٠٩.

شكل (٢٧) عملة ذهبية تعود لعهد الإمبراطور جوليانوس[١]

هتفت قوات الشرق الأوسط بقائدها جايوس نيجر (Gaius Niger) والي سوريا إمبراطورًا، ونادت قوات الدانوب بقائدها سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus)، وفي نفس الوقت هتفت القوات في بريطانيا بقائدها كلاوديوس ألبينوس (Clodius Albinus). وكان التأييد يميل نحو نيجر من قبل السناتو والشعب الروماني، لكن سبتيميوس سيفيروس نجح في دخول روما من ناحية الشمال وأضاف اسمه كشريك للإمبراطور السابق بيرتيناكس ليلغي وجود جوليانوس الشرعي من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي يظهر نفسه منتقمًا لمقتل بيرتيناكس ووريثًا له. فاضطر السناتو إلى تأليه بيرتيناكس الراحل، وإدانة جوليانوس والحكم بإعدامه، ورحب بسبتيميوس سيفيروس ووافق على ترشيحه إمبراطورًا وأنعم عليه بالألقاب التشريفية والسلطات القانونية المعتادة[٢].

---

[١] راجع: https://www.biddr.com/auctions/nac/browse?a=533&l=543289

راجع أيضًا: https://www.coinarchives.com/a/results.php?results=100&search=Didius+Julianus

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٠٩- ٣١٠.

ثالثًا: سبتيميوس سيفيروس (١٩٣- ٢١١م) وقيام حكم آل سيفيروس

ينحدر سبتيميوس سيفيروس من أصل فينيقي أفريقي، إذ ولد في بلدة لبتس ماجنا (Leptis Magna) (لبدة) بمقاطعة طرابلس في ليبيا عام ١٤٦م، وهي جزء من ولاية إفريقيا الرومانية. وأسرته فينيقية الأصل والثقافة لدرجة أنه كان يتحدث اللاتينية بلهجة فينيقية، بل أن بعض أفراد أسرته كانوا لا يتحدثون اللاتينية بتاتًا. وعلى الرغم من عنصره الفينيقي الخالص إلا أنه تلقى تعليمًا رومانيًا وثقافة لاتينية حيث درس الفلسفة في أثينا والقانون في روما، ووجد طريقه إلى سلك الوظائف الرومانية عن طريق طبقة الفرسان، التي كانت مفتوحة أمام هذه العناصر الأجنبية، وتمرس في سلك الوظائف العليا في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، وتدرج في المناصب إلى أن أصبح عضوًا في السناتو، إلى جانب مركزه العسكري المرموق[١].

شكل (٢٨) الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس وأسرته[٢]

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣١٣- ٣١٤.

[٢] https://www.worldhistory.org/image/11366/family-of-septimius-severus/

كان سيفيروس طموحًا متعطشًا للسلطة والقوة شأنه في ذلك شأن أجداده الشرقيين، ومن ورائه كانت تقف زوجته الثانية جوليا دومنا (Julia Domna) السورية الأصل والتي كانت تنحدر من أسرة كبيرة ثرية في حمص، وكانت تتمتع بمركز كهنوتي كبير، وكانت زوجته مثله متعطشة للعرش، وأنجبت له ولدين هما باسيانوس المعروف بكاراكلا وأخيه جيتا. وهكذا شاء القدر أن يسير قدر الإمبراطورية الرومانية زوجان لا ينتميان لأصول رومانية، ولا حتى للمقاطعات الإيطالية، ولا الولايات الغربية التابعة للإمبراطورية الرومانية؛ بل ينتميان إلى عنصر فينيقي إفريقي مما يعني أن ذلك كان منعطفًا خطيرًا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية وبداية لانتهاء سيادة العنصر الأوروبي عليها، وبداية تولي العناصر الشرقية قيادتها[١].

أعماله وإصلاحاته

أظهرت سياسة سبتيميوس سيفيروس اهتمامه الواسع بمصالح الرعايا الذين يعيشون في الولايات خاصة فيما يتعلق بمشاكل الإدارة والحكم. وقد عزم على تغيير هيكل نظام الحكم فأصبح الإمبراطور يعرف رسميا باسم "المولى" وأصبحت مدينة روما مقر مقصره تعرف بالمدينة المقدسة. واعتبر سيفيروس أن الجيش هو جوهر السلطة والحكم ومن ثم أعطى الجنود وضعًا متميزًا، ومن المزايا التي حصل عليها الجنود زيادة كبيرة في الرواتب بحجة تعويضهم عن زيادة الأسعار التي ارتفعت كثيرًا في عهد كومودوس. وسهل لهم الترقيات، وسمح لهم بفلاحة الأرضي الزراعية الواقعة حول المناطق التي كانوا يعسكرون فيها. وفتح الباب أمام العسكريين لتولي الوظائف المدنية. كما منح الجنود حق القيام بعقد زواجهم أثناء تأدية الخدمة العسكرية، والاعتراف بشرعية الأبناء الذين يولدون من هذا الزواج. وسمح للجنود بحق الإقامة مع عائلاتهم بالقرب من المناطق التي تعسكر فيها القوات التابعون لها[٢].

---

(١) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣١٤.
(٢) أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٧٤.

وقد ظهرت في عهد سيفيروس بوادر الانهيار السياسي والاقتصادي في الإمبراطورية، مثل انعدام الأمن، وظهور قطاع الطرق الذين ازدادت سطوتهم في الولايات. كما هدد مستأجرو الأراضي التابعة للإمبراطورية بترك الأراضي التي يدفعون عنها إيجارات للدولة إذا ما استمر إلزامهم بأعمال في المدن التي تقع حقولهم في زمامها مما يعطلهم عن الفلاحة في الأراضي التي يدفعون عنها الرسوم والضرائب. وقد مات سيفيروس بعد أن أعلن أن ابناه كاراكلا (Caracalla) وجيتا (Geta) وريثين له على العرش[١].

رابعًا: كاراكلا (٢١١- ٢١٨م) وجيتا (٢١١- ٢١٢م)

لم يمض على موت سبتيميوس سيفيروس وقت طويل حتى اندلع الصراع بين الأخوين الوريثين، ولم تجدي محاولات الأم جوليا دومنا شيئًا في التوسط بينهما. وزاد من مرارة الصراع تدخل رجال البلاط والجنود وأصبح لكل شقيق حزب من المؤيدين، حتى لم يكن هناك أحد في البلاد إلا واتخذ جانبًا إما مع كاراكلا أو مع جيتا. ولم يكد ينقضي عامًا واحدًا على حكمهما المزدوج حتى دبر الأخ الأكبر كاراكلا اغتيال أخيه، مدعيًا أنه كان بذلك يدافع عن نفسه إزاء مؤامرة كان يدبرها جيتا. وبسرعة غمر الحرس البرايتوري بالمكافآت السخية ورفع رواتب الجند بمقدار ١٥%، ثم بدأ في تصفية أنصار أخيه جسديًا. وكان من بين الضحايا ابنة الإمبراطور ماركوس أوريليوس وكانت تدعى كورنيفيكيا (Cornificia) وذلك بتهمة أنها جرأت على زيارة الإمبراطورة الأم جوليا دومنا وقدمت العزاء لها في موت ابنها جيتا، وكان ذلك كافيًا لكاراكلا ليتخلص منها[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٧٥.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٢٥. للمزيد عن حياة سيفيروس راجع: S. S. Lusnia, "Septimius Severus Pertinax Augustus, Lucius", in R. S. Bagnall, et al. (eds.), *The Encyclopedia of Ancient History*, (New Jersey, 2013), 6156–6160.

١. كاراكلا وسياسته

كان كاراكلا ضعيفًا وماكرًا وبربريًا في انتقامه، كما كان شديد الاعتقاد بالهواجس والخزعبلات، محبًا للانغماس في الفسق، وهو لا يختلف كثيرًا في ذلك عن كاليجولا ونيرون وكومودوس. وقد ساعد على ذلك أن كاراكلا لم يتم تدريبه على فن الحكم عن طريق التدرج في سلك الوظائف الطويل، أو تعويده على تحمل المسئولية. كل هذا جعل كاراكلا ينشأ محتقرًا للقوانين والحقوق ونمت في عقله اتجاهات استبدادية وانفرادية يكاد أن يكون طغيانًا شرقيًا. وقد اعتمد على الجيش لفرض حكمه الاستبدادي العسكري، وكان شعاره "ما دامت الجنود راضية عني، فليذهب الجميع إلى الجحيم". وكان يقول أيضًا "لا أحد سواي يجب أن يمتلك المال، وذلك حتى أعطيه لجنودي"[١].

شكل (٢٩) الإمبراطور كاراكلا (٢١١- ٢١٨م)

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٢٥-٣٢٦.

٢. الدستور الأنطونيني

أصدر كاراكلا الدستور الأنطونيني عام ٢١٢م وينص هذا الدستور على منح جميع شعوب الإمبراطورية من غير الرومان المواطنة الرومانية الكاملة باستثناء الخاضعين أو المستسلمين. واختلف المؤرخون وفقهاء تاريخ القانون حول عدة قضايا أهمها، ماهية أسباب ودوافع صدور هذا القانون؟ ومن هم المستسلمون الذين استثنوا من هذا الحق؟ يرى بعض المفسرين أن صدور هذا الدستور يرجع لأسباب اقتصادية، ويتبعون في ذلك ما كتبه المؤرخ كاسيوس ديون عن تخفيض كاراكلا لضرائب الإرث والتجارة إلى النصف، ومن ثم أراد تعويض ذلك عن طريق تحميل الفارق إلى شعوب الإمبراطورية من غير الرومان، وذلك بمنحهم المواطنة الرومانية الكاملة ليدفعوا هذه الضريبة، التي لم يكن يدفعها إلا الحاصلون على المواطنة الرومانية. ويرى آخرون أن سبب صدور هذا القانون هو تحميل المواطنين الجدد ضريبة الإرث ليعوض الخسائر التي تعرض لها أثناء حملته في بحر مرمرة[١].

بينما يرى المؤرخ دي فيشر (De Visscher) أن هذا المرسوم كان هدفه مقاومة انتشار المسيحية في شمال إفريقيا في ذلك الوقت، حيث أقبل سكان شمال إفريقيا على المسيحية بعد أن مزقهم التباين والاختلاف في القوميات، وكانت المسيحية تدعو إلى إلغاء الفوارق بين البشر. ومن ثم كان هدف كاراكلا من مرسومه جذب الأنظار عن أفكار الديانة الجديدة، وربط شعوب الإمبراطورية برباط سياسي وديني واحد[٢]. ويري آخرون أن أهدف من هذا المرسوم هو نشر الديانة الرومانية، أو الغرض منها نشر عبادة الإمبراطور ذاته، أو ربما كان الغرض منها رغبة كاراكلا في العظمة والمباهاة[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية،٣٢٦، ٣٢٩.

[٢] نفسه، ٣٢٩.

[٣] حسن أحمد حسن الإبياري، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م، رسالة دكتوراه، (جامعة عين شمس، ١٩٩٣م)، ٢٩٧ -٢٩٨.

كما أن الباحثين اختلفوا فيما بينهم حول المقصود بالمستسلمين أو الخاضعين الذين استثنوا من الحصول على المواطنة الرومانية. وقد رأى بعض الباحثين أنهم هم الأجانب الذين شهروا السلاح ضد الشعب الروماني وقاتلوه، ثم استسلموا له بعد الهزيمة. ووفقًا لهذا الرأي فإن هؤلاء المستسلمين سلموا أنفسهم لروما بدون قيد أو شرط. ويرى آخرون أن المقصود بمصطلح (dediticii) الوارد في المرسوم كان يستخدم ليدل على الأجانب الذين لم يكونوا أصلًا جزءًا من الإمبراطورية الرومانية وسلموا أنفسهم دون قيد أو شرط[١]. ويرى الأستاذ الدكتور سيد الناصري أن البعض اعتقد خطأً أو قصدًا أن المقصود بالخاضعين هم المصريون، غير أن هذا الرأي مرفوض شكلًا وموضوعًا فالمرسوم لم يصدر لمصر وحدها، بل لجميع سكان الإمبراطورية[٢].

على أية حال فأن الدستور الأنطونيني عمل على منح المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية، وألغى التمييز بين السكان من الناحية الشكلية فقط، أما من الناحية الواقعية فقد كان الدستور الأنطونيني مجرد تغيير نفسي وتنظيمي، حمل في ظاهرة الرحمة وفي باطنه الحكمة. فقد كان ظاهريًا دعوة للمساوة وواقعيًا وسيلة لزيادة موارد الخزانة العامة في روما بفرض ضريبة الإرث أو التركات على المواطنين الرومان الجدد. والواقع أن أغلب الباحثين يرون أن الدستور الأنطونيني لم يلغ الحقوق المحلية أو المراكز القانونية المحلية لسكان الإمبراطورية، على الرغم من اكتسابهم المواطنة الرومانية وأن هؤلاء المواطنين الجدد كانوا يتمتعون بمواطنة مزدوجة محلية – رومانية. وأن المواطنة الرومانية أصبحت شيئًا عاديا وشرفًا لا قيمة له، وأصبحت مجرد لفظ ولقب يعني أن حامله يقطن بإحدى ولايات الإمبراطورية[٣].

---

[١] حسن أحمد حسن الإبياري، المواطنون الرومان المقيمون في مصر، ٢٩٩.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٢٦، ٣٢٩.

[٣] حسن أحمد حسن الإبياري، ٣١٣-٣١٤.

خامسًا: ماكرينوس (٢١٧- ٢١٨م)

في أواخر عام ٢١٧م تم اغتيال كاراكلا على يد ماكرينوس (Macrinus)، الذي نادى به الجيش إمبراطورًا بعد ذلك، وصدق السناتو على هذا الاختيار وأنعم عليه بالألقاب ومنحه السلطات الخاصة بالأباطرة. ثم أنعم ماكرينوس بلقب قيصر على ابنه ديادومنيانوس وأشركه معه في الحكم بعد أن منحه لقب أغسطس. كان ماكرينوس موريتاني الأصل والمولد من طبقة الفرسان، لم يسبق له الدخول إلى السناتو، ولهذا يعتبر هو أول من تولى منصب الإمبراطور دون أن يكون عضوًا في السناتو. لم يكن ماكرينوس عسكريًا، لذلك اتجه إلى سياسة السلام، وحاول خفض النفقات العسكرية، مما أدى إلى غضب الجنود الذين اخذوا يتأسفون على أيام كاراكلا وفتوحاته الشجاعة. حاول ماكرينوس امتصاص غضبهم بإعلان كاراكلا إلهًا، ومنح ابنه ديادومنيانوس لقب أغسطس، لكن كل ذلك لم يجدي شيئًا وثارت الجنود تبحث عن إمبراطور جديد، وهو ما جعل سيدات الأسرة السيفيرية تسعى لإعادة الحكم للأسرة[١].

من أشهر نساء آل سيفيروس جوليا مايسا (Julia Maesa) شقيقة جوليا دومنا والدة كاراكلا، عندما علمت جوليا مايسا بأن حكم ماكرينوس يترنح قررت أن تحرض القوات الرومانية بالمال وبادعاء لا أخلاقي، هو أن ابن ابنتها الكبرى ويدعى باسيانوس (Bassianus) هو ابن غير شرعي للإمبراطور الراحل كاراكلا، وعلى ذلك فهو أحق الناس بالعرش. وقد شجع هذا الجنود على الثورة المسلحة ضد الإمبراطور ماكرينوس في يونيو عام ٢١٨م، والتي انتهت بهزيمة الإمبراطور قرب أنطاكيا على أيد الجنود المناصرة لباسيانوس، وسقط الإمبراطور وولده قتيلين، وهتفت الجنود بباسيانوس إمبراطورًا، ووافق السناتو في روما على ذلك[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٣٤- ٣٣٥.

[٢] نفسه، ٣٣٥، راجع أيضًا: عزيزة حسن السيد سليمان، النساء السوريات في العصر السيفيري، حولية الآثاريين العرب: دراسات في الوطن العربي، مج١٢، ع ١٢، (٢٠٠٩م)، ٤١١- ٤٢١.

شكل (٣٠) الإمبراطور ماكرينوس (٢١٧- ٢١٨م)

سادسًا: إلجابالوس (٢١٨- ٢٢٢م)

كان باسيانوس كاهنًا لإله الشمس الفينيقي السوري إلجابال في حمص، لذا عرف باسم إلجابالوس (Elagabalus)، لكنه اتخذ لنفسه اسمًا سياسيًا هو ماركوس أوريليوس أنطونينوس. وبالرغم من مجهودات جدته ووالدته ومجهودات معلميه إلا أن الصبي –كان في الرابعة عشر من عمره– لم يكن يهتم بشيء سوى ربه الفينيقي، الذي حمل تمثاله معه إلى روما، وراح يبشر بعبادته بين الرومان، وينشئ له تنظيمًا كهنوتيًا داخل العاصمة، وهو ما أثار التذمر والامتعاض بين الرومان. وفي عام ٢٢١م بدأت جدته جوليا مايسا تحس بأن جنون حفيدها بهذا الإله الشرقي سوف يعرض الأسرة كلها للخطر، لذا اقترحت عليه تبني ابن خالته أليكسيانوس (Alexianus) تحت اسم ماركوس أوريليوس الإسكندر، كما حثته على منحه لقب قيصر. وسرعان ما دب الخلاف بين الإمبراطور وخليفته، فتدخلت قوات الجيش والحرس البرايتوري فقتلت إلجابالوس وأمه في ربيع عام ٢٢٢م، وأعادت تمثال ربه إلى وطنه سوريا[١].

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٣٥- ٣٣٦.

شكل (٣١) الإمبراطور إلجابالوس (٢١٨- ٢٢٢م)

سابعًا: الإسكندر سيفيروس (٢٢٢- ٢٣٥م)

بعد اغتيال إلجابالوس تولى الحكم الإسكندر، الذي أضاف إلى اسمه لقب سيفيروس توكيدا لعودة العرش إلى الأسرة السيفيرية، فأصبح يعرف بالإسكندر سيفيروس. وقد حكم خلال الفترة (٢٢٢- ٢٣٥م)، وكان ضعيفًا فشل في مواجهة الفرس والألمان، فاغتاله الجنود وعينوا بدلًا منه قائدهم ماكسيمينوس (Maximenus). وبتولي ماكسيمينوس التراقي تبدأ فترة من الفوضى والتفكك والحروب الأهلية والانهيار الاقتصادي في الإمبراطورية الرومانية استمرت خمسين سنة حتى عام ٢٨٤م حين ظهر الإمبراطور دقلديانوس ليتولى العرش ويعيد إلى الذهن عهد الأباطرة الصالحين، في محاولة منه لإنقاذ الإمبراطورية من الانهيار؛ إلا أن الوقت كان متأخرًا للغاية[١].

[١] حسين الشيخ، الرومان، ٦٩- ٧٠.

الفصل الثامن
دقلديانوس وإصلاحاته الجذرية

أولًا: نشأته وحياته

ثانيًا: إصلاحات دقلديانوس:

١. المجال الإداري (السلطة الرباعية)

٢. المجال العسكري

٣. النظم المالية والضرائب

ثالثًا: اعتزال دقلديانوس ووفاته

أهداف الفصل الثامن

مقدمة

جاء دقلديانوس إلى عرش الإمبراطورية في عام ٢٨٤م، وكان في الأصل ينتمي إلى صفوف طبقة اجتماعية فقيرة في دالماتيا (Dalmatia) وتمكن من أن يصبح قائدًا للحرس البرايتوري. ويعود الفضل إلى دقلديانوس في إنه هو الذي وضع نظام جديد للاشتراك في السلطة، وذلك بهدف القضاء على ظاهرة تغيير الأباطرة السريع، وذلك في عام ٢٩٣م، وبمقتضى هذا النظام أصبح هناك زوج من أولئك الذين يحملون لقب "أغسطس" وزوج آخر من أولئك الذين يحملون لقب قيصر. ويُنسب إليه قيامه بأهم عملية ترميم تمت في بناء الإمبراطورية المتداعي. ومن وجهة نظر الأستاذ الدكتور أحمد غانم إن تفرد إصلاحات دقلديانوس عن سابقيه إنما يعود إلى أنه وجه جهوده نحو تحقيق ثلاثة أهداف كبرى هي[١]:

١. تقوية نفوذ الإمبراطور.

٢. إعادة تنظيم الجهاز الإداري الحكومي.

٣. تجديد نظام الجيش، فقد أكدت معظم المصادر الأدبية أن التغييرات التي أضافها دقلديانوس على الجيش الروماني كانت هي الأولى من نوعها منذ عهد الإمبراطور أغسطس.

وقد استلهم دقلديانوس روح الإمبراطور أغسطس وشرع في حكم الإمبراطورية حكمًا مطلقًا، فكان له الحق في التصرف المطلق في الشئون المالية، وحق التشريع، وكان هو القائد الأعلى للجيش، وبذلك جرد مجلس السناتو من سلطاته. كما أضفى على نفسه هالة دينية مقدسة مدعيًا بأنه من نسل جوبيتر[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٨٢- ٨٣.

[٢] نفسه، ٨٣.

أولًا: نشأته وحياته

ولد دقلديانوس حوالي عام ٢٤٥م في ولاية دالماتيا، ويرجح المؤرخين أن مسقط رأسه كان في سالونا. وكان أبواه فقيرين، وربما كان أبوه يشغل وظيفة صغيرة كغيره من طبقة المعتقين، ولكن ذلك لم يعق الابن الطموح من التدرج في الوظائف العسكرية. فقد انضم إلى قوة الفرسان حتى وصل إلى رتبة قائد الفرسان، ثم أصبح قائدًا لقوات الحرس البرايتوري. وقد فاقت شهرته كمنظم ومخطط ورجل دولة شهرته كعسكري فذ، فضلًا عن حصافته التي جعلته يمد يده لكل الكفاءات سواء مستشارين أو قادة عسكريين من أجل إنقاذ الإمبراطورية. وعندما تولى دقلديانوس الحكم اندفع في تنفيذ خطوات إصلاحية جذرية كانت نتاج تفكير طويل ودراسة دقيقة ومتفهمة لمشاكل الإمبراطورية، هذه الخطوات التصحيحية جعلت منه مؤسسًا لعهد جديد. لقد كان وضعه مشابهًا لوضع الإمبراطور أغسطس، لأنه كان عليه أن يقيم حكمًا جديدًا في أعقاب فترة من الفوضى[١].

شكل (٣٢) الإمبراطور دقلديانوس

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٣٩٩.

ثانيًا: إصلاحات دقلديانوس

١. المجال الإداري (السلطة الرباعية)

أعاد دقلديانوس تنظيم الجهاز الإداري بشكل حرم إيطاليا من مكانتها الإدارية الممتازة التي كانت تتمتع بها، وبالتحديد روما بوصفها مركزًا لحكم الإمبراطورية. حيث ظهرت العديد من العواصم في أجزاء مختلفة في أنحاء الإمبراطورية. وقضى على التفرقة بين الولايات الإمبراطورية وولايات السناتو. وبدأ يهتم بالولايات الشرقية، وذلك لامتيازها بوفرة خيراتها ومهارة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة. واتخذ من نيقوميديا في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى عاصمة جديدة للإمبراطورية. كما قام بنقل عاصمة إيطاليا من روما إلى ميلانو وذلك لأسباب عسكرية، منها أنها تتحكم في معظم ممرات جبال الألب، مما يسهل انتقال جيوش الإمبراطورية إلى بلاد الغال وألمانيا وذلك لصد أي هجوم وإخماد إي فتنة[١].

وفكر دقلديانوس في ربط الولايات الرومانية ببعضها فقسم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم أو أقسام إدارية، ووضع على رأس كل قسم منها حاكم إداري عام يتمتع إما بلقب أغسطس أو لقب قيصر، وكان من الناحية العملية شريكًا للإمبراطور في حكم الإمبراطورية وهو ما عُرف بالسلطة الرباعية أو "تترارخيا" (Tetrarchia)، وفيما يلي الأقسام الإدارية الأربعة وما شملته من أقاليم[٢]:

١. غالة وتشمل: بريطانيا، وغالة، وإسبانيا، ومراكش، وكان يديره قنسطنطيوس خلوروس (Constantius Chlorus) والد قنسطنطين، وجعل عاصمته مدينة تريفيس (Treves).

٢. إيطاليا وتشمل: إيطاليا، والجزائر، وتونس، وطرابلس، وكان يديره ماكسيميانوس (Maximianus)، وعاصمته مدينة ميلان.

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٨٤.

[٢] نفسه، ٨٤-٨٥، أيضًا: سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٠٤.

٣. إلليريا وتشمل: داكيا، ومقدونيا، واليونان، وكان يديره جاليريوس، وجعل عاصمته مدينة سيرميوم (Sirmium).

٤. إقليم الشرق ويشمل: تراقيا، وآسيا الصغرى، والشام، ومصر، وهو الإقليم الذي احتفظ به دقلديانوس لنفسه، وكان مركزه أو عاصمته نيقوميديا.

وأصبح الحكم في الإمبراطورية جماعيًا بين الحكام الأربعة، وإن كان دقلديانوس ظل يعلب دور الزعيم فيه. فالقرارات والقوانين كانت تصدر باسم الأربعة، وأي انتصار يحرزه أحدهم كان الأربعة يحتفلون به، وكان من حق كل حاكم أن يمر بقواته داخل حدود الحاكم الآخر، وفي نفس الوقت كان لكل واحد شخصيته المستقلة فكان له حق سك النقود باسمه وعليها صورته، واقتناء حرس خاص لحمايته[١].

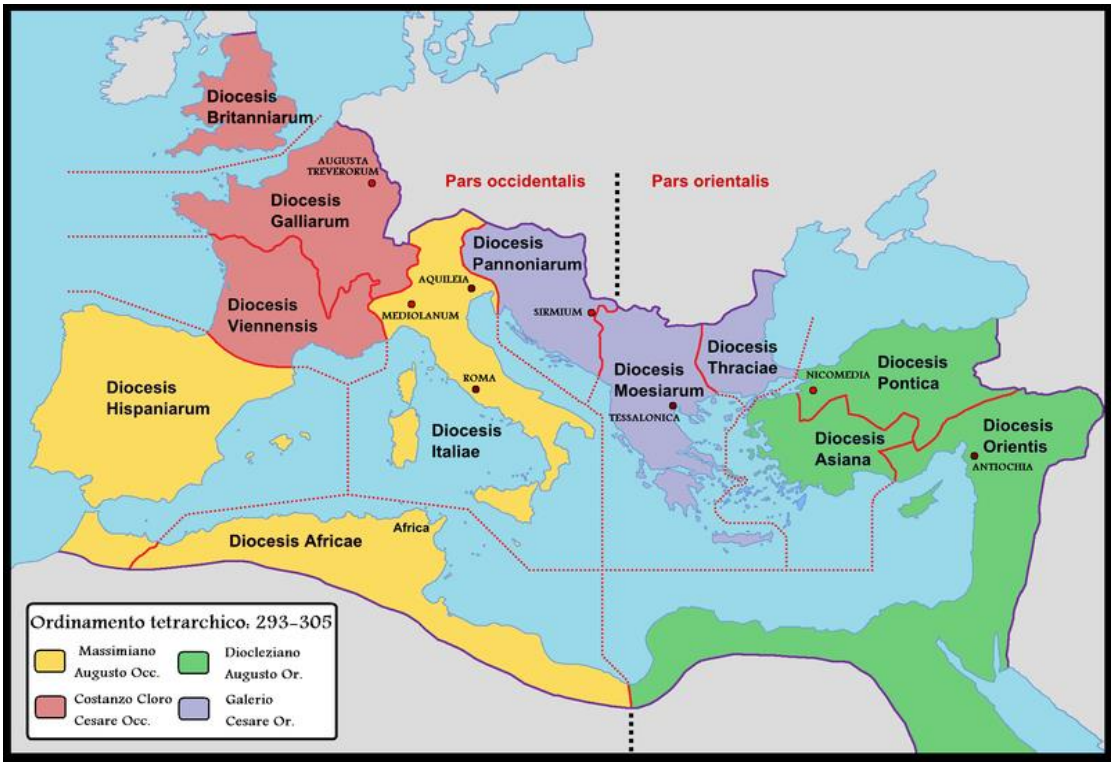

خريطة (٥) توضح تقسيم الإمبراطورية الرومانية على الحكام الأربعة[٢]

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٠٤.

[٢] https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Prima_tetrarchia_Diocletianus.PNG

شكل (٣٣) نحت يصور أعضاء الحكومة الرباعية[١]

[١] https://www.tripadvisor.com/LocationPhotoDirectLink-g187870-d7061802-i390958243-Portrait_of_the_Four_Tetrarchs-Venice_Veneto.html

٢. المجال العسكري (الجيش)

اعتمد الإمبراطور دقلديانوس في تكوين جيش الإمبراطورية على الجند الذين ينتمون إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلفًا في المجال الحضاري مثل الجرمان في أوروبا والبربر في أفريقيا والعرب في سوريا، وهذا لا ينفي بطبيعة الحال أن الغالبية العظمي من المواطنين الرومان المتمتعين بحقوق المواطنة الرومانية هي التي شكلت قوام الجيش الأساسي. وكان السبب في اعتماد دقلديانوس على هذه العناصر في جيشه، هو حرصه على درء الأخطار الخارجية الأمر الذي كان يستلزم زيادة أعداد الجيش فاتجه للاستعانة بالفرق المؤلفة من البربر المرتزقة وجعل مراكزهم قرب عواصم الحكام الأربعة. كما جعل دقلديانوس الخدمة في الجيش إلزامية، كما أنه سمح لأبناء الجنود والمحاربين القدماء بالانخراط في الجيش، وفتح الطريق أمام الجندي للترقي حتى يصل إلى رتبة القائد الأعلى للجيش[١].

ويجمع معظم الباحثين على أن دقلديانوس بفضل مجهوداته في الجيش تمكن من تدعيم الحدود وبناء القلاع. وكان من أهم تعديلاته في الجيش، هو تقسيم الجيش إلى فرعين هما: الجيش المقاتل أو الجيش الميداني، وقوات الحدود وهم عبارة عن جنود مزارعين يعيشون على الحدود. وقد تمكن دقلديانوس بحسن قيادته للجيش من إقرار الأمن والنظام في مختلف أرجاء الإمبراطورية والولايات التابعة لها، وفي اخضاع الثورات العارمة في كل من بلاد الغال ومصر وأفريقيا وبريطانيا. كما تمكن من صد هجمات البرابرة على امتداد جبهتي الراين والدانوب. وفي عام ٢٩٧م تمكن من مهاجمة الفرس واسترد منهم بلاد النهرين، وبذلك امتدت حدود الإمبراطورية شرقًا حتى نهر دجلة، وعادت رقعة الإمبراطورية من جديد لما كانت عليه عام ١١٧م باستثناء إقليم أو اثنين[٢].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٨٧-٨٨.

[٢] نفسه، ٨٨-٨٩.

ومن إصلاحات دقلديانوس العسكرية أيضًا إنشاء فرقة جديدة هي قوات رفاق الإمبراطور أو قوات الحرس الخاص، وكان رجالها ينتقون من الرجال الأشداء ويعاملون معاملة راقية سواء من ناحية التسليح أو الرواتب أو الغذاء. وكان خلق هذه القوات الجديدة بداية إعلان انتهاء دور الحرس البرايتوري من التاريخ الروماني الذي لم يعد يحمي الإمبراطور كما كان قديمًا، بل تركت قواته كحامية لحراسة روما[١].

٣. النظم المالية والضرائب

شرع دقلديانوس منذ توليه العرش في تنفيذ خطة كبرى للإنشاء والتعمير، وحذي حذوه شركاؤه، ومن هذه المشروعات الكبرى مشروع بناء الحمامات داخل مدينة روما والمعروفة باسم حمامات دقلديانوس الكبرى، وبناء قصره الكبير في إقليم دالماتيا (Dalmatia) ليستقر فيه بعد اعتزاله الحكم. وكذلك بناء الطريق الصحراوي الكبير بين دمشق ونهر الفرات لتسهيل نقل الجيوش وتشجيع التجارة بين روما والشرق الأوسط. وكان من الطبيعي أن تحتاج هذه المشروعات زيادة في الاعتمادات المالية في ظروف كانت فيها الإمبراطورية مرهقة بسبب النفقات الدفاعية ومضاعفة عدد قوات الجيش. وكان الحل الوحيد لزيادة مصادر الانفاق هو إعادة النظر في نظام الضرائب. وقرر دقلديانوس تخطيط الضرائب على أساس علمي ووضع جدول حسابي ثابت لا يتغير وعادل في نفس الوقت. فجعل الضرائب عينية أي تجبى في شكل محصولات زراعية أو حيوانية أو مصنعات زراعية مثل زيت الزيتون والنبيذ. وأصبحت ضريبة القمح التي كانت تُجبى من وقت لآخر حسب الحاجة، ضريبة دائمة في عهد دقلديانوس. وكان هدف دقلديانوس هو ضبط الدخل العام في شكل عادل وثابت في كل أنحاء الإمبراطورية[٢].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤١٢.

[٢] نفسه، ٤١٣-٤١٤.

وقام دقلديانوس بحصر واسع للأراضي الزراعية في الإمبراطورية وتحديدها بهدف تنظيم الضرائب، وعلى الرغم من أنه لم ينجح في إصلاح الأزمة الاقتصادية؛ إلا أنه نجح في حماية الفقراء من جشع المستغلين والمتاجرين بأقوات الأهالي، إذ أصدر قرارات خاصة بتحديد أسعار السلع والمواد الغذائية، ووضع العقوبات لكل من يخالف ذلك. وفي إطار مجهودات دقلديانوس للحد من ارتفاع الأسعار قام بسك عملة نقدية سليمة في عام ٢٩٦م، ورغم ما أحرزته تلك العملة من نجاح؛ إلا أن الأسعار ظلت مرتفعة، وهنا أصدر مرسوم في عام ٣٠١م تضمن الحد الأقصى لأثمان السلع والاحتياجات الأساسية للرعايا الرومان، وفي المقابل عمل على تثبيت الحد الأقصى لمعدلات أجور العاملين في المهن المختلفة. لكن الواقع أن الطبقات الدنيا قد تدهورت في عهد دقلديانوس، بعد أن اضطر أفرادها إلى ترك مزارعهم وهجر تجارتهم، فأصدر مرسومًا يُجبر فيه الفلاحين وأصحاب المهن المختلفة على مبدأ الوراثة وذلك خوفًا منه على اقتصاديات الإمبراطورية[١].

٤. اعتزال دقلديانوس ووفاته

في السنة الحادية والعشرين من حكمه اعتزل دقلديانوس الحكم، وكان وقتها في التاسعة والخمسين من عمره، وبذلك أحرز دقلديانوس قصب السبق وبلغ مناط المجد في إنه قدم للعالم أول مثال في الاعتزال عن السلطة. وقضى دقلديانوس أعوامه التسعة الأخيرة معتكفًا عن الحياة العامة[٢]. وعاش في قصره يزرع حديقته الخاصة وينعم بالهدوء والراحة إلى أن وافته المنية في عام ٣١٢م[٣].

---

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٨٩-٩٠.

[٢] إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد على أبو درة، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ٢١٦-٢١٧.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٢٤.

هكذا حاول دقلديانوس معالجة تدهور أحوال الإمبراطورية، وترميم التصدع الذي أصابها بإدخال تغييرات أساسية في نظم الدولة وسياستها، ليتفادى ما يمكن أن يحدث من انهيار تام لها، ويمنع حدوث الاضطرابات والانقلابات العسكرية[١]. إلا أن الوقت كان متأخرًا للغاية فقد بدأ الانهيار العظيم ولن يستطيع كائنًا من يكون أن يوقفه[٢].

[١] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٩١.

[٢] حسين الشيخ، الرومان، ٧٠.

وللمزيد عن إصلاحات دقلديانوس راجع: منيرة محمد الهمشري، النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ –٣٠٥م)، (القاهرة، ١٩٩٩م)، وأيضًا: سالم اللافي محمد، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقلديانوس) وأثرها السلبية والايجابية على الإمبراطورية الرومانية فيما بين ٢٨٤ / ٣٠٥م، رسالة ماجستير، (جامعة المرقب، ٢٠٠٨م).

الفصل التاسع
سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وتحليل أسباب سقوطها

أولًا: انقسام الإمبراطورية إلى قسمين عام ٣٩٥م

ثانيًا: سقوط الإمبراطورية عام ٤٧٦م

ثالثًا: أسباب سقوط الإمبراطورية وتحليلها:

١. الأسباب الاجتماعية

٢. الأسباب الاقتصادية

٣. الأسباب الدينية

٤. غزوات الجرمان وتمركز القوة في أيديهم

أهداف الفصل الثامن

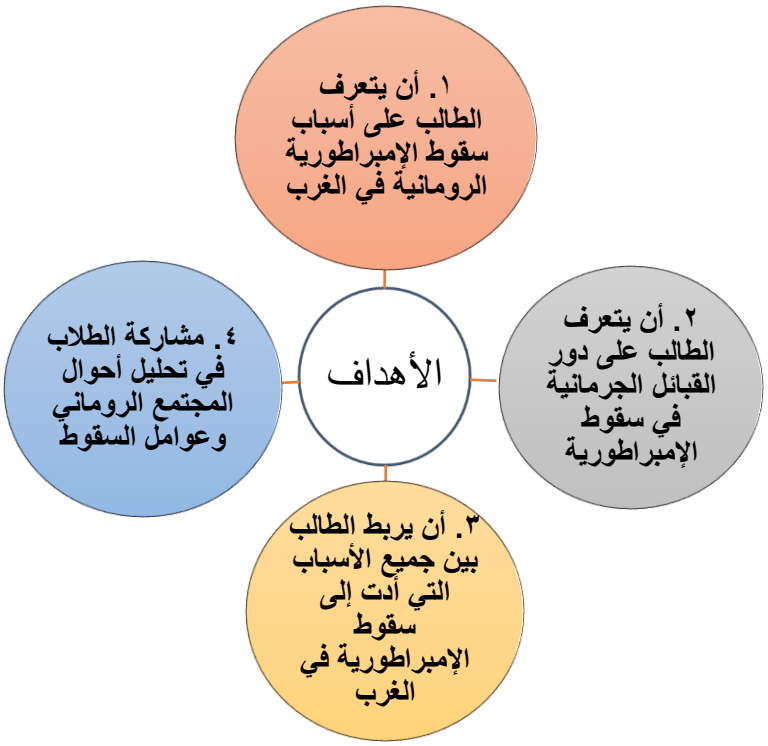

أولًا: انقسام الإمبراطورية إلى قسمين عام ٣٩٥م

يمثل عام ٣٩٥م بداية مرحلة جديدة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، كانت في روحها وطابعها نذيرًا بتداعي الإمبراطورية وانهيارها، خاصة في الجزء الغربي منها. ففي ذلك العام انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين منفصلين بعد وفاة ثيودوسيوس العظيم، القسم الشرقي وقد حكم هذا الجزء أركاديوس وهو الابن الأكبر لثيودوسيوس، وكان وقتها في الثامنة عشرة من عمره. والقسم الغربي وقد حكم هذا القسم الابن الأصغر هونوريوس، وكان في الحادية عشر من عمره[١].

ولم يكن هذين الإمبراطورين على مستوى المسئولية والقدرة على الحكم، فهيمن على الشطر الشرقي روفينوس القائد البرايتوري، بينما هيمن على القسم الغربي ستيلكو القائد الوندالي للجيش، والذي كان ثيودوسيوس قد اختاره وصيًا على ابنه هونوريوس. وقد حدث صراع بين هذين القائدين أدى إلى انقسام الإمبراطورية إلى شطرين منفصلين ومستقلين ومتنافسين، ولم يبقى من وحدة الإمبراطورية سوى موضوعات اسمية مثل تنصيب تماثيل الإمبراطورين معًا في كافة أنحاء الإمبراطورية، ولكن فيما عدا ذلك أصبح لكل قسم وضعه المستقل وسيادته وإدارته المستقلة. وعليه أصبحت الإمبراطورية فعليًا منقسمة إلى شطرين مستقلين لكل منهما سيادة مستقلة[٢].

ثانيًا: سقوط الإمبراطورية الغربية على يد الجرمان عام ٤٧٦م

أخذت جموع الجرمان والبرابرة تتدفق على إيطاليا من الشمال الشرقي وامتلأت صفوف الجيش منهم، وسرعان ما استفحل خطرهم في إيطاليا، وصاروا مصدرًا للقلاقل والفوضى.

---

[١] محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط٣، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ١٥٩- ١٦٠.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٦٨-٤٦٩.

ودفعهم الجشع إلى التمرد وطلب المزيد، فتطلعوا إلى البحث عن مواطن يلتمسون منها سبل العيش والإقامة. وبدأت المتاعب تأتي من أولئك الجرمان عندما طالب زعماؤهم في الجيش برفع رواتبهم وزيادة مخصصاتهم، ولما كانت خزانة الدولة خاوية رأوا أن يطلبوا ثلث أراضي إيطاليا من الجنرال أوريستيس والد الإمبراطور رومولوس الذي عينه إمبراطورًا في عام ٤٧٥م بعد خلعه للإمبراطور نيبوس؛ إلا أن أوريستيس قابل طلب زعماء الفرق الجرمانية بالرفض. وهو ما جعل القائد الجرماني أودواكر يستغل الموقف ويدعو زملاءه من زعماء الفرق الجرمانية للانضمام تحت لواءه، كي يحقق لهم ما يصبون إليه من آمال. وكان أن التفوا حوله وبادروا بإعلانه ملكًا عليهم في أغسطس عام ٤٧٦م، ولم يهدأ له بال إلا بقتل أوريستيس في إحدى الفتن التي شبت في روما في أغسطس من العام نفسه –٤٧٦م. أما الإمبراطور الصغير رومولوس فقد عزله أودواكر، وقرر له معاشًا سنويًا طيلة حياته[١].

وهكذا أصبح أودواكر ملكًا وحصل على الاعتراف الرسمي من الإمبراطور زينون في القسطنطينية وبقايا مجلس السناتو في روما تحت مسمى حكم الإمبراطورية الرومانية الغربية نيابة عن إمبراطور الشرق. وبذلك سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية بشكل رسمي في العام ٤٧٦م على يد القبائل الجرمانية[٢].

ثالثًا: أسباب سقوط الإمبراطورية وتحليلها

تضافرت مجموعة من الأسباب أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية تنوعت ما بين أسباب اجتماعية، وأسباب اقتصادية، وأخرى دينية، فضلًا عن الفوضى العسكرية، والأخطار الخارجية التي تمثلت في خطر القبائل الجرمانية.

---

[١] محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ١٧٦–١٧٧، سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٨٢.

[٢] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٨٢.

١. الأسباب الاجتماعية

كان المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس يعاني من ظلم وصراع طبقي شديد، فقد اختفت الطبقي الوسطى وهي في أي مجتمع وأي حضارة القوة الديناميكية الحقيقية وأسفر الموقف عن طبقتين هما: البروليتاريا الجائعة اليائسة أي الطبقة الكادحة التي باتت تبحث عن الخلاص أو الهروب من مشاكل العالم المادية إلى التخدير الغيبي وإلى السحر والخزعبلات، مما أدى إلى انحطاط الفكر الثقافي وتفشي البربرية، حتى في التعبير الفني والجمالي. أما الطبقة الثانية: فهي الطبقة الأرستقراطية الحاكمة والمتحكمة عن طريق السيطرة على الأجهزة البيروقراطية، وعن طريق امتلاك الاقطاعيات الشاسعة بمن عليها من فلاحين وعبيد[١]. كما طحن الفقر معظم الناس وأبعدهم تمامًا عما يدور حولهم من تقلبات سياسية، وكما يحدث في مجتمعات التخلف يلجأ الفرد الكادح إلى السحر والغيبيات هروبًا من الواقع وبحثًا عن الخلاص[٢].

من الأسباب الاجتماعية أيضًا التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية، انغماس الطبقة الحاكمة في حياة اللهو والترف، وأصبحت تهتم بنعيم الحياة، وتركت مقاليد الأمور في البلاد في أيدي الجرمان الذين تغلغلوا في أجهزة الدولة، وأصبحوا قوة لا يستهان بها، كما كانوا على معرفة بمواطن الضعف في البلاد، وتمكنوا في كثير من الأحيان في قلب الأباطرة. هذا فضلًا عن الخلافات اللغوية والحضارية بين شقي الإمبراطورية، فقد سادت في القسم الغربي اللغة والثقافة اللاتينية، بينما ساد في القسم الشرقي اللغة الإغريقية بحكم الموقع الجغرافي، وهو ما أدى إلى اختلاف العادات والتقاليد في القسمين اختلافًا واضحًا[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٨٣.

[٢] أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، ٥٦.

[٣] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، (الإسكندرية، ١٩٨٤م)، ٦٠-٥٩.

٢. الأسباب الاقتصادية

أصاب الإمبراطورية الرومانية في أواخر عهدها خللًا في جهازها المالي، فكانت الضريبة باهظة متباينة وغير منظمة، ولم تكن الثروة موزعة توزيعًا عادلًا، فوجد الكثير من المتنعمين، بينما كان هناك مقاطعات بأكملها غارقة في الفقر. فضلًا عن التدهور التدريجي في قيمة العملة المستعملة، والذي بدا واضحًا في أيام دقلديانوس أواخر القرن الثالث، والذي عمل على تثبيتها، إلا أن محاولاته لم تحقق النجاح. كما أدى اسرافه في محاولاته إصدار عملة خالصة العيار إلى ارتفاع الأسعار. ولمواجهة هذا الموقف أصدر قانونه عام ٣٠١م الذي حدد فيه ثمن كل سلعة على حدة، ولم يصادف هذا القانون هو الأخر أي نجاح. وقد كان لهذه الحالة الاقتصادية المتدهورة آثارها في انهيار الإمبراطورية الرومانية[١].

كما كان لانحطاط الزراعة والصناعة والتجارة دورًا كبيرًا في سقوط الإمبراطورية الرومانية، حيث انصرف الرومان عن زراعة الأرض التي تركوها للرقيق الذين قل عددهم في أخريات الإمبراطورية الرومانية، بسبب القسوة في المعاملة وكثرة الأوبئة والمجاعات وازدياد الضرائب، وكسدت أيضًا الصناعة والتجارة. وأهملت الطرق الرومانية الشهيرة فعم البؤس في البلاد، وتدهورت الحياة الاقتصادية إلى حد بعيد، وبات واضحًا للعيان أن مصير الإمبراطورية الرومانية وقوتها إلى الزوال[٢].

٣. الأسباب الدينية

دخلت المسيحية إلى الإمبراطورية الرومانية وتلهفها الفقراء الكادحون في الريف والمدن بحثًا عن الخلاص، بينما تمسكت الارستقراطية بالتراث الوثني، ونظروا إلى المسيحية

---

[١] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، ٥٧-٥٨.

[٢] نفسه، ٥٩.

على أنها حركة هدامة، وخطرًا على التراث القومي العريق، ومن ثم هم الذين أوعزوا إلى الأباطرة بحركات التصفية والاستئصال بصورة بشعة. وتعرض المسيحيون لأقصى أنواع الاضطهاد، ولكن الكنيسة قاومت ببطولة، حتى استسلم الأباطرة واعترفوا بها في نهاية الأمر. وبذلك كان الصراع بين الديانة المسيحية والوثنية أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية[١].

٤. غزوات الجرمان وتمركز القوة في أيديهم

تتصل غزوات الجرمان اتصالًا وثيقًا بسقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب، كانت السبب إذ كانت السبب المباشر لهذا السقوط. فقد عاث الجرمان البرابرة فسادًا على حدود الدانوب والراين، وكثرت اغاراتهم على تلك الحدود. واخذوا ينهالون بجحافلهم الجرارة في جوف الإمبراطورية الرومانية ليقضوا عليها، ويقيموا على أنقاضها ممالك جديدة لهم في الغرب الأوروبي، لها مقوماتها ومميزاتها وخصائصها التي تختلف عما كان سائدًا عند الرومان القدماء[٢]. كما سيطر القادة الجرمان على مجريات الأمور في الإمبراطورية الرومانية ووصلوا إلى أعلى المناصب، وأصبحوا هم المتحكمون الفعليون في العرش الإمبراطوري، ولم يعد الأباطرة سوى أشباحًا هزيلة لا تملك من الحكم غير الاسم، حتى سقطت في أيديهم بشكل رسمي عام ٤٧٦م[٣].

---

[١] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٨٣.

[٢] جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، ٦٤.

[٣] سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٤٨٢.

قائمة المراجع

أولًا المراجع العربية والمترجمة:

- أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، (الكويت، ١٩٨٩م).
- ـــــــــــ، الأدب الإغريقي: تراثًا انسانيًا وعالميًا، ط٣، (القاهرة، ٢٠٠١م).
- أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، تقديم: حسين أحمد الشيخ، (الإسكندرية، ٢٠٠٧م).
- إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد على أبو درة، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٧م)
- إرنست ماسون، الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، ترجمة: جمال السيد، (القاهرة، ١٩٨٥م).
- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، (الإسكندرية، ١٩٨٤م).
- حسن أحمد حسن الإبياري، المواطنون الرومان المقيمون في مصر منذ الفتح الروماني حتى صدور مرسوم أنطونينوس في عام ٢١٢م، رسالة دكتوراه، (جامعة عين شمس، ١٩٩٣م).
- حسين الشيخ، الرومان، (الإسكندرية، ٢٠٠٥م)
- سالم اللافي محمد، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقلديانوس) وأثرها السلبية والايجابية على الإمبراطورية الرومانية فيما بين ٢٨٤ / ٣٠٥م، رسالة ماجستير، (جامعة المرقب، ٢٠٠٨).
- سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، (بغداد، د.ت).
- ساني أحمد نسيم محمد، سياسة تراجان وهادريان في حكم الإمبراطورية الرومانية: دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراة –غير منشورة، (جامعة الإسكندرية، ٢٠١٧)
- سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، (القاهرة، ١٩٩١م).
- ـــــــــــ، الناس والحياة في مصر زمن الرومان في ضوء الوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٩٥م).
- عبداللطيف احمد علي، مصادر التاريخ الروماني، (القاهرة،١٩٧٠م).
- ـــــــــــ، الإمبراطورية الرومانية، (بيروت، ١٩٧٤م).
- ـــــــــــ، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، (القاهرة، ١٩٨٨م).

- عزيزة حسن السيد سليمان، النساء السوريات في العصر السيفيري، حولية الآثاريين العرب: دراسات في الوطن العربي، مج١٢، ع ١٢، (٢٠٠٩م)، ٤١١- ٤٢١.
- علاء عبدالدائم زوبع، على محمد رشيد، ثورات اليهود في عهد الدولة الرومانية – ثورة باركوخبا، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج ٦، ع ٣، (٢٠١٦م)، ٢٧٧-٢٤٦.
- ماركوس أوريليوس، التأملات، ترجمة: عادل مصطفى، مراجعة: أحمد عتمان، (القاهرة، ٢٠١٠م).
- محمود إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي، (القاهرة، ١٩٩٨م).
- محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط٣، (القاهرة، ١٩٩٥م).
- مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، (الإسكندرية، ١٩٩٩م).
- منيرة محمد الهمشري، النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ -٣٠٥م)، (القاهرة، ١٩٩٩م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

- **Barrett, A. A.,** *Agrippina: Sister of Caligula, Wife of Claudius, Mother of Nero*, (London, 1996)
- **Momigliano, A.,** *Claudius, the Emperor and His Achievement*, (New York, 1961).
- **Thiselton, C.,** *Hermeneutics: An Introduction*, (Michigan, 2009).
- **Cooley, A.,** *Res gestae divi Augusti: text, translation, and commentary*, (Cambridge, 2009).
- **Breeze, D. J.,** *Hadrian's Wall: A study in archaeological exploration and interpretation*, (Oxford, 2019).
- **Potter, D.,** *Literary Texts and the Roman Historian*, (London, 1999).
- **Sreedharan, E.,** *A Textbook of Historiography, 500 B.C. to A.D. 2000*, (New Delhi, 2004).
- **Powell, L.,** *Germanicus: The Magnificent Life and Mysterious Death of Rome's Most Popular General*, (Barnsley, 2013).
- **Burger, M.,** *Sources for the History of Western Civilization: From Antiquity to the Mid-Eighteenth Century*, 2nd ed., (Toronto, 2015), 2015.

- **Boatwright, M. T.,** *Hadrian and the Cities of the Roman Empire*, (Princeton, 2000)
- **Griffin, M. T.,** *Nero: The End of a Dynasty*, (New York, 2001)
- **Hekster, O.,** "Hadrian and the Limits of Empire", in C. Gazdac (ed.), *Group and Individual Tragedies in Roman Europe. The evidence of Hoards, Epigraphic and Literary Sources*، (2020), 277-287.
- **Southern, P.,** "The Numeri of the Roman Imperial Army", *Britannia*, Vol. 20 (1989), 81- 140.
- **Lusnia, S. S.,** "Septimius Severus Pertinax Augustus, Lucius", in R. S. Bagnall, et al. (eds.), *The Encyclopedia of Ancient History*, (New Jersey, 2013), 6156–6160.
- **Woog, A.,** *The Roman Colosseum*, (San Diego, 2014), 10.
- **Klawans, Z. H.,** *Reading and Dating Roman Imperial Coins*, 2nd ed., (Wisconsin,1959).

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

- https://earlychurchhistory.org/politics/caesar-augustus-and-his-deeds/
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%8A%D9%88%D9%85
https://sites.google.com/site/pzaugustus/home-1/map
- https://simple.wikipedia.org/wiki/Year_of_the_Four_Emperors
- https://www.britannica.com/biography/Titus
- https://www.sciencephoto.com/media/185718/view/victims-of-mt-vesuvius-eruption
- https://www.youtube.com/watch?v=kiMxd090Qt8
- https://www.youtube.com/watch?v=-BagdB-pqno
- https://www.alamy.com/stock-photo-emperor-trajans-column-rome-italy-27451623.html
- https://www.123rf.com/photo_29938592_the-roman-empire-at-its-greatest-extent-in-117-ad-at-the-time-of-trajan-plus-principal-provinces-vec.html
- https://www.youtube.com/watch?v=s5u_Xz-AGDQ
- https://www.youtube.com/watch?v=Xzgv1OE5E0c
- https://www.youtube.com/watch?v=PdVyQt6DnD8
- https://www.youtube.com/watch?v=pwNrSqTuPiA
- https://www.youtube.com/watch?v=5yxX5bFa2uk

- https://www.biddr.com/auctions/nac/browse?a=533&l=543289
- https://www.coinarchives.com/a/results.php?results=100&search=Didius+Julianus
- https://www.worldhistory.org/image/11366/family-of-septimius-severus/
- https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Prima_tetrarchia_Diocletianus.PNG
- https://www.tripadvisor.com/LocationPhotoDirectLink-g187870-d7061802-i390958243-Portrait_of_the_Four_Tetrarchs-Venice_Veneto.html
- https://www.youtube.com/watch?v=DBhhzBiNby8
- https://www.youtube.com/watch?v=khD-Zwsim0w
- https://www.youtube.com/watch?v=7blt4O9FvHE
- https://www.youtube.com/watch?v=OYmoEvx8ZSQ
- https://www.youtube.com/watch?v=Q_7B1sQCZOM